روائع المسرح العالمي

٦٢

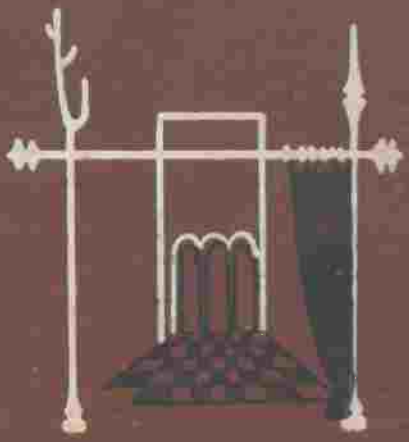

كرنفال الأشباح

تأليف : موريس دوكوبرا

ترجمة : أحمد محمد رضا

مراجعة وتقديم : الدكتور محمد مندور

روائع المسرح العالمى

٦٢

كرنفال الأشباح

تأليف : موريس دوكوبرا

ترجمة : أحمد محمد رضا

مراجعة وتقديم : الدكتور محمد مندور

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

هذه ترجمة كاملة لمسرحية :

Le Carnaval Des Spectres

par

Maurice Dekobra

كرنفال الأشباح بين الحلم والواقع

بقلم الدكتور محمد مندور

مسرحية « مهرجان الموتى » تبدو فى ظاهرها غريبة مفتعلة تقوم على فرض لا يزال وربما ظل بعيد التحقيق وهو فرض بعث الموتى وردهم الى الحياة من جديد ولكنها مع ذلك تعالج عددا من أخطر وأعمق مشاكل الحياة الانسانية وقضاياها الحية النابضة وذلك لأن كاتبها الأديب الصحفى « موريس دوكوبرا » رجل أكسبته رحلاته الاستطلاعية التى غطت العالم كله نشاطا فى الخيال وخبرة بالحياة فى جميع أقطار العالم مكنته من أن يفهم مأساة الانسانية الحقيقية فى عصرنا الحاضر وهى تلك المأساة الناتجة من تقدم العلم خطوات كبيرة سريعة فى عصرنا الحاضر لا يقابلها تقدم مماثل فى أخلاقيات البشر بحيث لا ندرى ماذا سيفعل الانسان بحياته الطويلة الممتدة فيما لو استطاع العلم الذى يتقدم بخطوات جبارة أن يهزم الموت أو أن يرجئه الى أمد بعيد وهل طول العمر سيمكن الانسان من تحقيق الأحلام التى يعاجلنا الموت اليوم عن تحقيقها أم أن تلك

بعد أن جاوز الستين من عمره ومع ذلك ظل خياله بالغ القوة وبصيرته بالغة النفاذ الى حقائق الحياة المعاصرة ومآسيها وقضاياها الكبرى التى عالجها فى هذه المسرحية الخيالية فى اطارها ، وان جاءت واقعية دامية محزنة فى مضمونها واشعاع ايحاءاتها .

لقد تصور موريس دوكوبرا فى الفصل الأول من هذه المسرحية ان موتى مقبرة الأب لاشيز الشهيرة فى باريس قد أقاموا لهم ناديا فى تلك المقبرة فتحوا أبوابه أو ممراته على مقابر الخاصة والعلية من القوم بينما أحكموا اغلاق الممر الذى يؤدى الى المقبرة العامة التى يرقد فيها أبناء عامة الشعب ، وفى هذا النادى يجرى الفصل الأول من هذه المسرحية حيث نرى جنرالا فرنسيا ينهض من قبره ليدلف اليه ثم سيدة مجتمع ثم رجلا ثريا كان قد أصيب بالجنون ولا يزال مكبلا بقميص المجانين فى موته ، ثم مليونيرا من أصحاب البنوك وأخيرا شابا وفتاة كانا قد انتحرا لفشل حبهما فى ريعان الصبا وبعد أن اكتمل عقد هؤلاء نسمع بطرق وضغط عنيف على الباب الذى يغلق الممر المؤدى الى المقبرة العامة وينتهى هذا الضغط بكسر هذا الباب ودخول غانية كانت تعمل مومسا فى

حياتها ، وجندى فرنسى كان قد ضرب بالرصاص فى جبهة الحرب العالمية الأولى .

وفى هذا الفصل الأول نعرف من الحوار الذى يدور بين كل هذه الشخصيات وبين حارس المقبرة نوع الحياة التى عاشها كل منهم فالجنرال نعلم أنه مات سنة ١٩٢٨ أى بعد ثمانى سنوات من انقضاء الحرب العالمية الأولى التى اشترك فيها وحقق أمجادا ، كما نعلم أن الرجل المجنون اسمه « مارك ليون » وانه قد توفى هو الآخر سنة ١٩٤٧ بعد أن عجز البرفيسور « ماركس » عن علاجه خلال ثلاث سنوات بعيادته ، وأن سيدة المجتمع كانت سيدة شابة جميلة تزوجت من رجل ريفى ثرى حرمها حريتها دون أن يشبع ظمأها العاطفى فهى تحلم بالحرية والحب ، والمليونير صاحب البنك نعلم أنه قد عاش شقيا تعيسا بغناه الذى كان يجذب اليه النساء وهو يحس بأنهن لا يردنه هو بل يردن ماله ، والشاب والفتاة قد انتحرا بسبب معارضة والد الشاب فى زواجه من تلك الفتاة . والغاية صريحة واضحة شجاعة فى الحق فهى تعترف بأنها لم تحترف الدعارة لفساد المجتمع وعدم تمكينه اياها من الحياة الشريفة ، بل كسلها وعدم رغبتها فى العمل هما اللذان دفعا بها الى الدعارة . وأما الجندى فنعلم أن قائد فرقته وهو الجنرال

السابق هو الذى كان قد أمر بضربه بالرصاص هو وعدد من زملائه ليكونوا عبرة للفرقة كلها عندما أعلنت التمرد فى جبهة « شمبانيا » على أثر معركة خاسرة .

وبعد أن ينتهى المؤلف من عرض الصورة العامة للحياة التى عاشها كل من هذه الشخصيات ينبئان بلسان حارس المقبرة أن البروفيسور « باراكس » قد انتهى من اكتشاف وسيلة لاحياء الموتى وأنه قد طلب اليه أن يأتيه بمن يرغبون فى العودة الى الحياة ويسأل حارس المقبرة كلا من هذه الشخصيات عن رأيه فى هذا العرض وعندئذ نرى الجنرال الذى توفى منذ سنة ١٩٢٨ يصر على رفض هذا العرض لاحساسه بأن الزمن قد تخطاه وأن الحرب لم يعد ينهض بعبئها العسكريون بشجاعتهم بل علماء الطبيعة باكتشافاتهم كاكتشاف الذرة وغيرها . والجندى يرفض هو الآخر العودة الى الحياة لاحساسه العميق بأن البشر لن يقلعوا عن مرض اشعال الحروب وان كان يود أن لو استطاع أن يشفيهم من هذا المرض . والغانية ترى أول الأمر بأنها قد رفهت عن الحيوان الآدمى بما فيه الكفاية ولكنها مع ذلك تقبل العودة الى الحياة آملة أن تحيا حياة أخرى ؛ وأما الشاب والفتاة المنتحران فيرحبان بهذه العودة ليعيشا حبهما وكذلك سيدة المجتمع التى

تحلم بالتمتع بالحرية والعشـــق . وكذلك المليونير صـــاحب البنك فهو يقبل أن يبعث الى الحياة ولكن بشرط أن يعود اليها فقيرا لينعم بحب النساء لشخصه بدلا من ماله . وبالفعل نرانا فى الفصل الثالث من المسرحية بعيادة البروفيسور «ماراكس» وقد اجتمع فيها الشخصيات الستة التى قبلت العـــودة الى الحياة ولكن ماذا فعل كل منهم بعد هذه العودة وهل استطاع أن يحقق حلمه بعد أن استطاع التقدم العلمى أن يبعثه وكيف السبيل الى ذلك وغرائز الحياة المتخلفة عن تقدم العلم لابد أن تفسد عليهم أحلامهم أو على الأقل على أغلبيتهم . فالشاب والفتاة يتزوجان فعلا وتمتد حياتهما الزوجية ثلاثة عشر عاما ولكنها لم تتمخض عن روعة الخيال وجمال الحب الذى كان يسيطر عليها عندما اتخرا فى حياتهما الأولى ؛ بل أصبحت حياتهما الزوجية شجارا بل وسبابا متبادلا ونوعا من الجحيم الذى لا يطاق . وســـيدة المجتمع التى كانت تحلم بالحريـــة والعشق انحدرت الى ما يشـــبه الدعارة وتقلبت بين أحضان العديد من الرجال وتعرفت على الثرى الشاذ الذى كان يملك قصرا قريبا من عيادة البروفيسور «ماراكس» وهربت من العيادة لتقيم فى هذا القصر . واذا كان المليونير صاحب البنك قد حقق حلمه فى أن يقبل النساء عليه لشخصه فانه لم يلبث أن سئم

هذا الوضع الذى وجد نفسه فيه يختار بدلا من أن يختار هو ويتقبل هدايا النساء بدلا من أن يعطى ومن المعلوم أن الرجال خاصة يؤمنون بأن اليد العليا خير من اليد السفلى . والمجنون فوجىء بامرأته التى كانت قد تركته مريضا بعقله فى عيادة الطبيب لتسافر الى « كازابلانكا » فى بلاد المغرب مع عشيق لها وها هى تعود بعد علمها بنبأ وفاة زوجها لتبحث عن خاتم بماسة ضخمة كان يضعه فى اصبعه وبخاصة بعد أن تبينت أن زوجها المجنون كان قد ترك وصية أوصى فيها بالعمارتين الكبيرتين اللتين يملكهما فى باريس لزعيم الحزب الشيوعى الفرنسى « موريس توريز » بينما أوصى لقادة البلاد الرأسمالية وزعمائها أمثال تشرشل وترومان بعلب كرتون فارغة . وتلتقى هذه الأرملة الجشعة الخائنة بزوجها فى عيادة الدكتور حيث جاءت للبحث عن الخاتم ذى الماسة الثمينة الضخمة وعندما تتحقق من شخصية زوجها الذى بعث الى الحياة يغمى عليها ويتركها المؤلف فى اغمائها لينتقل بنا الى الفصل الثالث من المسرحية وهو يجرى فى قصر الرجل الثرى الشاذ الذى تصيد سيدة المجتمع المبعوثة حية من قارعة الطريق ويصف لنا المؤلف الأشياء الغريبة الشاذة المثيرة بل المرعبة التى جمعها هذا الثرى الأفاق من أنحاء العالم القديم والحديث . ويهول البروفيسور

« ماراكس » اختفاء هذه السيدة من عيادته ويهتدى الى مكانها فى هذا القصر وبعد مشاهد غريبة مفزعة ينتهى الأمر بأن يقتل الثرى صاحب القصر هذا البروفيسور العالم والطبيب الفذ . وبقتله يعود بنا المؤلف مرة ثانية الى نادى الموتى بمقبرة الأب لاشيز حيث نلتقى بالشخصيات الستة التى كانت قد عادت الى الحياة ثم ماتت مرة ثانية بعـد وفاة البروفيسور كما نلتقى بالجنرال الذى كان قد رفض العودة الى الحياة وقد اتفقوا جميعا عـلى أن يتولى هـذا الجنرال محاكمة البروفيسور « باراكس » للجريمة التى ارتكبها عندما بعثهم الى الحيـاة فتحطمت أحلامهم الجميلة على صخرة واقعهم الانسانى السيء المتخلف أخلاقيا بالنسبة لتقدم العلم . ويجمع أربعة منهم على توجيه هذه التهمة الخطيرة الى البروفيسور . وهؤلاء الأربعة هم سيدة المجتمع التى شقيت بحريتها وبظمئها العاطفى نتيجة لانحلال أخلاقها وفساد غرائزها فتبدل حلمها الجميـل سرابا ممضا . والشاب والفتاة اللذان تحول حبهما الملتهب الى حياة زوجية نكدة ، وأخيرا المليونير الذى وجد نفسه فى وضـع لا يقل تعاسة عن وضعه الأول الذى كان يظن فيه أنه من الأفضل أن يكون فقيرا ليقبل عليه النساء لشخصه لا لماله واذا به يصبح مطلوبا لا طالبا ويدا دنيا لا يدا عليا . ولا يدافع

عن البروفيسور رمزا للأمل والتفاؤل فى مستقبل أفضل للبشر غير اثنين هما الغانية التى عملت ممرضة فى عيادة البروفيسور بعد عودتها الى الحياة وبذلت للمرضى المساكين من ذات نفسها بعد أن كانت فى حياتها الأولى تبذل وتتبذل جسمها لوحوش البشر الضارية . ثم المجنون الذى اغتبط بأن مكنته العودة الى الحياة من أن يفضح خيانة زوجته وتآمرها مع عشيقها وأن يشهد تحسرها الجشع الحقير على تركته . وبذلك لم يتركنا المؤلف فى الفصل الأخير من مسرحيته فريسة لليأس والتشاؤم بل ترك طاقة مفتوحة للأمل والتفاؤل وتغلب الخير فى شخصى هذه العاهرة الفاضلة وذلك المجنون العاقل ، وان يكن الجنرال لسوء الحظ قد أصدر حكمه فى هـــذه القضية باعـــدام البروفيسور وسوقه الى الموت مرة ثانية تكفيرا عن جريمته عندما ساقه غرور العلم والنجاح فيه على أن يعجل باختراع وسيلة احياء الموتى أو اطالة العمر قبل أن تتمكن معنـــويات البشر وأخلاقهم من اللحاق بهذا التقدم العلمى السريع بحيث لا يصبح بعث الموتى أو اطالة العمر وسيلة لتكديس البؤس على رؤوس هؤلاء البشر وحرمانهم حتى من متعة الأحلام التى تتحطم على صخرة الواقع الأخلاقى السيء عندما تسمح فسحة العمر لأصحاب تلك الأحلام بمحاولة تحويلها الى حقـــائق معاشه .

وبذلك استطعنا أن نؤمن مع المؤلف بصدق آخر جملة اختتم بها مسرحيته الرائعة وهى قوله « أيتها البشرية البائسة لك الرحمة والرثاء » وهذا حق فمن المؤكد أنه لو استطاع العلم فى القريب أو البعيد أن يمد من حياة البشر الى أضعاف متوسط أعمارهم الحالى . بل ولو استطاع العلم أن يهزم الموت لما سعد البشر بذلك ، أو خف بؤسهم — مالم تتقدم معنوياتهم وأخلاقهم وقدرتهم على السيطرة على غرائزهم وعلى أنانيتهم على نحو يمنع أحلامهم من أن تتحطم على صخرة أخلاقهم السيئة المنحطة . ومع كل ذلك فالمؤلف لا يتركنا كما قلنا فى حالة يأس حالك بل يترك لنا طاقة من الأمل مفتوحة بفضل من سميناه بالمجنون العاقل وبالغانية أو المومس الفاضلة . ولا عبرة بعد ذلك بالحكم الذى أصدره الجنرال على البروفيسور « ماراكس » ما دام قد أوحى لنا فى هذا الحكم بأنه لا يدين به تقدم العلم فى ذاته مجسدا فى شخص البروفيسور « ماراكس » بل يدين هذا التقدم اذا لم يسايره فى خط متواز معه أو سابق عليه تقدم الأخلاق وقدرة الانسان على قيادة نفسه قيادة سليمة قادرة متبصرة تعرف وسائلها قبل أن تعرف — أو على الأقل مع معرفتها بأهدافها والتقدم الحقيقى للانسانية هو ذلك التقدم الذى يؤمن بأنه لا خير فى غاية أو أمل

جميل شريف مالم نصل اليهما بوسيلة شريفة وبطريق فاضل مستقيم .

ولا حاجة بى بعد ذلك لايضاح براعة المؤلف الفنية فى بناء هذه المسرحية المثيرة والمضحكة حينا والمفزعة حينا آخر واتساع خياله الذى يبدو فى ظاهره أنه يبعدنا عن واقع الحياة الانسانية بينما هو فى الواقع يغوص بنا فى أعماقها على نحو يثير الخيال والتأمل الفكرى العميق والانفعال العاطفى حينا والساخر حينا فى وقت واحد .

محمد مندور

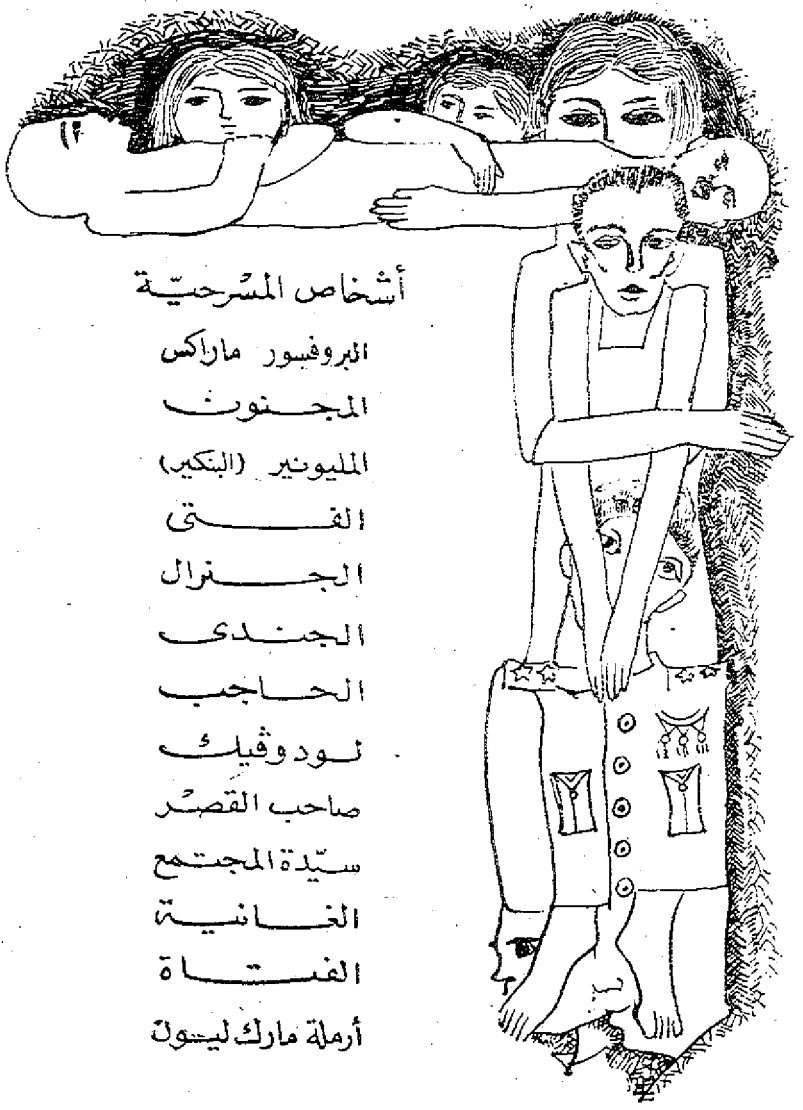

أشخاص المسرحيّة

البروفيسور ماراكس

المجنون

المليونير (البنكير)

الفتى

الجنرال

الجندى

الحاجب

لودوڤيك

صاحب القصر

سيّدة المجتمع

الغانية

الفتاة

أرملة مارك ليسون

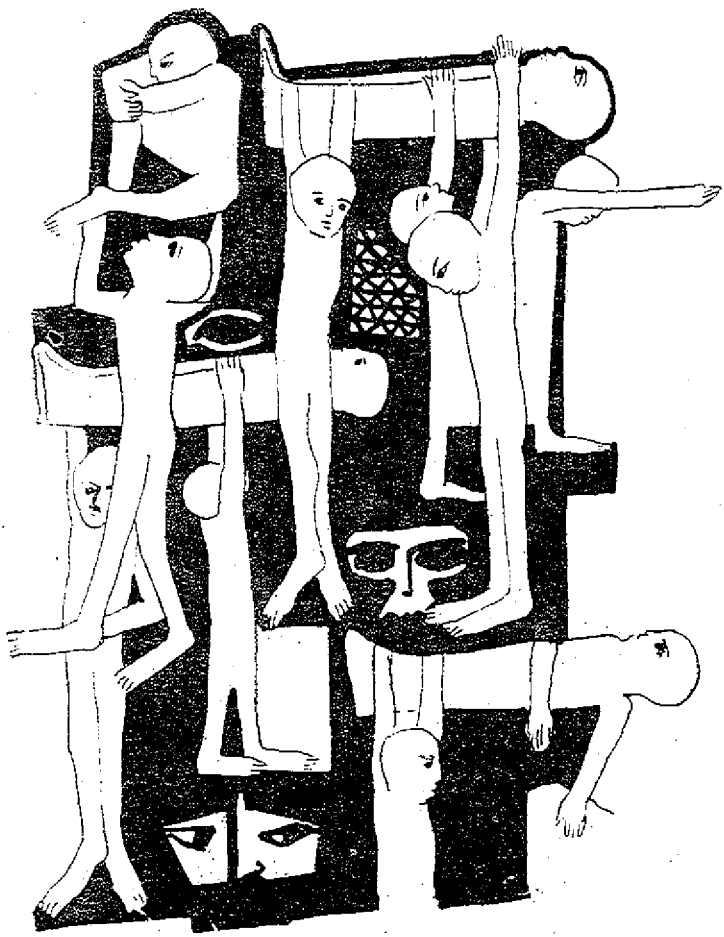

الفصل الأول

« القاعة غارقة فى الظلام ـ تسمع المقاطع الأولى لموسيقى « الرقصة الجنائزية لســـان سائين » ـ يرتفع الستار ببطء شديد عن نادى الموتى فى مقابر الأب لاشيز .

« سرداب من حجر رمادى ، به ثلاثة مداخل مغلقة بأبواب من زجاج شفاف ، مضاء بنور أخضر ، ويؤدى كل مدخل من المداخل الثلاثة الى الممرات السفلية للجبانة ، ويصرح للموتى بالخروج من قبورهم ، والاجتماع كل ليلة فى السرداب .

« وفى الوسط باب أكبر من الأبواب الأخرى يؤدى الى المقبرة العمومية . وتوجد فى أعلى قبو السرداب ، فتحـــة مستديرة تسمح بمرور أشعة ضوئية تميـــل الى الزرقة ، وتنير المسرح .

« ويوجد على خشبة المسرح بعض المكعبات الحجرية ، ونقش ، وتستعمل للجلوس .

وحين يرتفع الستار ، يظهر حاجب الجبانة فى حلة رسمية سوداء ، بها أزرار فضية ، خارجا من باب صغير خفى جانبى ، وبيده حلقة مفاتيح ويقوم الحاجب بفتح مزاليج الأبواب الثلاثة ، الواحد بعد الآخر ، مستخدما مفاتيحه ، بينما يستمر عزف مقطوعة (الرقصة الجنائزية) بصوت خافت . وحين يفرغ الحاجب من فتح المزاليج ، يجلس على مكعب حجرى ، فى وسط السرداب ، تحت شعاع الضوء المائل الى الزرقة .

« وعندئذ يظهر رجل خارجا من الباب رقم ٣
« انه الجنرال ، وهو فى الستين من عمره ، يرتدى حلة رسمية جميلة ، زرقاء ، فى زرقة الأفق ، تحمل كل أوسمته ».

الجنرال : هل أنا يا ترى أول الواصلين ؟

الحاجب : تماما يا سيدى الجنرال . انك لم تتأخر يوما عن موعدك فى نادى مقابر الأب لاشيز .

الجنرال : الدقة فى المواعيد ، يا صديقى ، من آداب الموتى .

الحاجب : تماما ياسيدى الجنرال .

الجنرال : (كمن يفشى سرا) أخبرنى اذن .. منذ يومين وأنا أسمع فى غضون الليل بعض الضوضاء التى تنبعث من المقبرة المجاورة لمقبرتى .. فهل هو حديث العهد ، ذلك المدفون فيها ؟

الحاجب : واأسفاه يا سيدى الجنرال ، انه مجنون ، ذلك الميت الحديث ، لقد شكا الى من أن رجلا سخيفا قد عرض نعشه للبيع فى الأسواق .. انه سوف يسبب لى بعض المتاعب .

الجنرال : وما سبب موته ؟

الحاجب : (يخرج من جيبه دفترا أسود) انتظر .. لقد

دونت اسمه أمس الأول .. انه مات فى ملجأ البروفسور ماراكس ، اثر نوبة صرع أصابته .. كان به هوس ، فهو يريد دائما معرفة الوقت بالضبط .

الجنرال : يبدو لى أن مدام تيسيلون الجميلة ومسيو كاردان قد تأخرا ، فقد وصلا بالأمس فى ذات اللحظة التى وصلت فيها .

الحاجب : (عند الباب رقم ٣) انتبه .. أعتقد أن هذا هو الميت الجديد .

الجنرال : المجنون ؟

الحاجب : نعم ، سأقدمه اليك .

« يظهر المجنون ، الذى كان قد دفن وهو مرتد حلة المجانين الضيقة التى تقيد حركة الجسم . يطلع على عتبة الباب رقم ٣ . يحدق بامعان فى التابوت الذى يراه لأول مرة ، ويبدو عليه التردد » .

الحاجب : أدخل من فضلك .

المجنون : (يتقدم بخطوات متزنة) كم الساعة ؟

الحاجب : الثانية عشرة ليلا وعشر دقائق .

المجنون : وأين أنا ؟

الحاجب : أنت فى نادى مقابر الأب لاشيز . سادتى ، اسمحا لى بأن أعرف أحدكما بالآخر (يفتح دفتره ويقرأ) : مسيو مارك ليون ، دفن فى السابع عشر من يونية عام ١٩٤٧ . السيد الجنرال دو ڤيلمون ، القائد السابق للفيلق الرابع والسبعين . دفن فى الثالث من مايو عام ١٩٢٨ .

المجنون : (فى منتهى الأدب) سيدى الجنرال ..

الجنرال : سيدى .. (يحيى أحدهما الآخر على بعد) ، أهلا بك وسهلا ، أتمنى لك اقامة طيبة بيننا ، يا مسيو مارك ليون .

المجنون : شكرا لك يا سيدى الجنرال .

الجنرال : (يقترب منه قليلا) وهل تألمت فى موتك ؟

المجنون : (مبتسما) أوه ! كلا .. لقد فتحت جمجمتى على حائط غرفتى فخفت آلامى ، فقد كنت أشكو من دمل فى اليتى .

الجنرال : نعم ، نعم .. فهمت .

المجنون : وقد دفنونى بهذه الصورة الضيقة للغاية .. أرجوك يا سيدى الحاجب أن تتكرم وتخلعها

عنى (يساعده الحاجب فى خلعها) .. شكرا .. أشعر بتحسن .. انتظر حتى أضبط ســـاعتى (يصلح وضع سوار ساعته) ، الساعة الثانية عشرة ليلا وعشر دقائق .. ها هى .. أتأذن لى بسؤال واحد يا سيدى الجنرال ؟

الجنرال : تفضل ..

المجنون : مم توفيت ؟

الجنرال : أنا ؟ .. (يضحك ساخرا فى صوت خافت) من مصران أعـور عالجه طبيب فى الجيش علاجا خاطئا وشخصه التهابا فى الحنجرة .

المجنون : ألم تمت فى الحرب ؟

الجنرال : سيدى ، فى عام ١٩١٤ ، كان القواد يصنعون الحروب ، ولكنهم قلما كانوا يموتون بسببها .

المجنون : (يشير الى الحاجب) قال هذا الرجل فى حديثه شيئا عن نادى الأموات ، فماذا كان يعنى ؟

الجنرال : يعنى أن موتى هذه الجبانة يجتمعون كل ليلة من منتصف الليـــل حتى شروق الشمس . فنستعيد ذكرياتنا عن الفترة القصـــيرة التى قضيناها فى هذا العالم . ونحن لا نضيع أية

مشروعات ، وهذا هو مصـــدر الصفاء اللذيذ الذى تتمتع به . كانت الحياة الدنيا فيما مضى تفرق بيننا ، أما الموت فقد جمع بيننا ، وهدأ نفوسنا . أتفهم ما أعنى ؟

المجنون : لست مجنونا . ان زوجتى هى التى عملت على حبسى فى عيادة الدكتور ماراكس فى ســـان چرمان .

الچنرال : أكانت لك زوجة ؟

المجنون : نعم . اننى لم أتصرف تصرف المجانين الا بعد أن تزوجتها ، (بصوت خفيض) أرجو ألا يكون هناك الآن أية صلة بيننا وبين الأحياء ؟

الچنرال : بلى ، هناك صلة ، وذلك بفضل الحاجب . انه يعرف كل ما يحدث هناك ، فى العالم العلوى ..

المجنون : (للحاجب) عجبا .. قل لى يا سيدى ، هل ترى أرملتى فى هذه اللحظة ؟

الحاجب : (مركزا اهتمامه) نعم أراها .

المجنون : وماذا تفعل ؟

الحاجب : تشرب شمپانيا فى كازابلانكا .

المجنون : كان قلبى يحدثنى بذلك . يا للفاسقة ، انها تشرب نخب موتى (الى الجنرال) قل لى اذن ، الى أين تؤدى كل هذه الأبواب ؟

الجنرال : الى مختلف قطاعات الجبانة (يريها اياه) ، كل هذه الممرات السفلية تؤدى الى أجداث الأسر . فأنا مثلا ، لى تمثال نصفى مقام فى القطـــاع الثالث ؛ الى جوارك .

المجنون : وذلك الباب الكبير فى الوسط ؟

الجنرال : آه ! ذلك هو الدهليز الذى ينحدر الى المقبرة العمومية .

المجنون : أهى دائما مغلقة ؟

الجنرال : لم أرها أبدا مفتوحة .

المجنون : وعلى ذلك فان موتى المقبرة العامة لا يأتون الى هنا ؟ ألسنا جميعا فى الموت سواء ؟

الجنرال : أعنى أن جميع الموتى فى المقبرة العمومية يبقون معـــا .

المجنون : ومع ذلك فليس ثمة موتى أغنياء وموتى فقراء .

الجنرال : لشد ما أدهشنى هذا الأمر العجيب ، كما ترى . وقد قال لى الحاجب فى ذات مساء (بصوت

خفيض) : أمرت ألا أفتح هـذا الباب حتى ينقضى قرن من الزمـان .. فتستطيع اذن أن تتجول كما يحلو لك فى الطرقات السـفلى للجبانة .

المجنون : ولم .. بعد قرن ؟

الجنرال : وقد قال الحاجب فوق ذلك : « ان الزمن لكفيل بأن يخفف ما فى نفوسهم من الأحقـاد الاجتماعية ، والكراهية الطبقية . وبهذا قضت الحـكمة الالهية السامية التى تسـود فى الآخرة » . صه ! ها هما شبحان .

المجنون : اننى لا أرى شيئا .

الجنرال : (يتلفت) ولكنى أسمعهما .. لقد اعتدت ذلك .. فقد مضى على موتى تسع عشرة سنة .. اسمع .. ماذا كنت أقوله لك ؟

(تظهر من الباب رقم ٣ فى نفس الوقت امرأة رائعة الجمال ، فى ثوب مكشوف العنق والأكتاف ، تتزين بالجواهر ، ورجل مرتد حلته ، ويدخلان فى بطء ويحييان الجنرال الذى يعرفانه من قبـل وينهض الحاجب ويقدمهما للحاضرين .

وهذه المرأة ، سيدة المجتمع ، مليحة ، متحفظة فى سلوكها ، تبدو على محيـــاها سيماء الشرف والاستقامة . ويحكم المرء من مظهرها بأنها امرأة فاضلة جديرة باحترام الجميع .

أما الرجل المهنـــدم ، فهو بنكير من أصحاب الملايين ، وسيم للغاية) .

الحاجب : (للمجنون) اسمحوا لى أن أقدمكم (يفتح دفتره) : مسيو مارك ليون ، توفى فى عيـــادة الأستاذ ماركس ، ودفن فى السابع عشر من يونية سنة ١٩٤٧ .. مدام تيسيلون ، واسمها الأصلى « چين اليزابيث فلوريا » ، دفنت فى السادس عشر من يونية سنة ١٩٤٧ ، فى الثلاثين من عمرها .. مسيو فردريك كاردان ، بنكير ، دفن فى السادس عشر من يونية سنة ١٩٤٧ فى الثالثة والأربعين من عمره .

المجنون : سيدتى .. سيدى .. كم الساعة الآن ؟

الحاجب : (بصوت خفيض) لا تبالوا .. هذا هوس ، انه كان مجنونا .

السيدة : سيدى ...

المليونير : سيدى .. (بصوت خفيض مخاطبا السيدة) ، مجنون ! مرحا ، سوف نلهو .

الجنرال : (للقادمين الجديدين) كنا فى انتظاركما ، مسيو مارك ليون وأنا .

السيدة : (للمجنون) اسمح لى يا سيدى أن أرحب بك فى هذا القبو .. (يبتعد المليونير والجنرال ليتجاذبا الحديث سويا . تومىء السيدة للمجنون أن يجلس بالقرب منها على كتلة حجرية) .

المجنون : لقد وصلت حديثا يا سيدتى ، وكنت أجهل أن هناك روابط ألفة ومودة مثل هذه تربط بين الأموات .

السيدة : (فى منتهى اللطف ، وكأنها فى قاعة استقبال) لا شك فى أن الجنرال قد أحاطك علما بهذا الأمر ؟

المجنون : حقا يا سيدتى .

السيدة : أعترف بأننى قبل أن أموت ، لم أكن أتصور بالمرة أن أرواحنا تستطيع أن تتلاقى فى العالم الآخر وتوثق فيما بينها روابط الجيرة الطيبة .

المجنون : أنت هنا منذ أربع وعشرين ساعة يا سيدتى ، انى لا أريد أن أكون فضوليا .. ولكنك ، وأنت على هذا الحسن والجمال ، وما زلت فى هـذا الشباب المبكر .. أصبحت معنا قبل الأوان ؟

السيدة : انها حادثة ، فقـد سقطت طائرة بين باريس ولندن ، وكنت مسافرة فيها للحاق بزوجى ..

المجنون : وكنت متزوجة أيضا ؟ يا لسيدتى المسكينة ! يا للجنون !

السيدة : مت وأنا آسفة .

المجنون : فاهم .. آه ! الزواج .

السيدة : آسفة على حياتى التى ضاعت هباء .. لقـد زوجونى فى العشرين من عمرى برجـل فظ لا يحتمل .. وعشت معه فى الأقاليم ، لا أعرف للسرور طعما ، أشبه شىء بمسجونة ، سجانى رجل غيور مستبد . فى الدنيا رجال يتضورون جوعا ، وفيها نسوة يعرفن أيضا معنى الجوع ، الجوع الى الحب .

المجنون : (يضحك ضحكة صغيرة جافة) ان بيوت العزاب لم تعد لاستقبال الكلاب ! ها ! ها ! ها !

السيدة : هذا صحيح ، ولكن تربيتى الصارمة ، وخوفى من الفضيحة ، كل ذلك منعنى من أن أمتع حياتى .

المجنون : كان يجدر بك أن تحبسى زوجك .

السيدة : أعتقد أنه قد أعيانى الأمر ، وطفح بى الكيل ، ولو استمر بى الحال قليلا على ذلك المنوال ، فربما كنت أتخلى عن فضائلى وأقدم على فعل بعض الحماقات . ولكنى خجلى من أن أعترف أمامك بهذه الأشياء .

المجنون : لا تخشى شيئا ، اننى بحت بأسرارى أمام رشاشة الحديقة ، ولما فاجأنى المرض ، رشنى بها .. اهدئى بالا ، فلن أبللك .

السيدة : أين دفنت ؟

المجنون : فى القسم السادس بالقطاع الجنوبى .

السيدة : أما أنا ، فعندى كنيسة صغيرة ، وجارى هو مسيو كاردان ، هذا السيد (وتشير الى البنكير) وهو رجل مهذب ، راق من جميع الوجوه (بصوت خفيض) بنكير ، ثرى ؛ موفور الثراء ..

المجنون : هل مات فى السجن ؟

السيدة : كلا ، بل مات من جلطة دموية .

الجنرال والمليونير (اللذان كانا يتمشيان ويتسامران فى القبو يتوقفان أمام باب المقبرة العمومية) .

الجنرال : ومجمل القول ، فأنت عشت حياة رغدة بملايينك الكثيرة .

المليونير : كلا ، اننى كنت تعيسا .

الجنرال : غير معقول ؟

المليونير : بلى — شقاء فى العاطفة . كنت أملك مئات الملايين ، ولكن الملايين هذه سممت حياتي . لم تقربنى امرأة واحدة الا بأمل الانتفاع من ثروتى .. انى على يقين من أن أحدا لم يحبنى لشخصى .

الجنرال : يا للعجب ! ومع ذلك فأنت رجل وسيم ، بهى الطلعة .

المليونير : أنت لم تفهمنى بعد .. اننى كنت على استعداد لأن أتخلى عن ملايينى فى مقابل أن أكون واحدا من أولئك الشبان الفاسدين الذين تحلم بهواهم النساء .

الجنرال : (غير مصدق) أجاد أنت ؟

المليونير : (ينظر الى باب المقبرة العمومية) أأنت واثق أن أحدا لا يستطيع الدخول هنا ؟

الجنرال : نعم ، كل الثقة . هذا الباب لن يفتح الا بعد قرن من الزمان .

المليونير : (متأملا) يا للخسارة !

الجنرال : هذا الباب يشغل بالك ولا ريب .

المليونير : نعم ، أعترف لك بذلك (للحاجب) هيه ! يا صديقى .

الحاجب : سيدى ؟

المليونير : ألا من وسيلة لرؤية ما يجرى فى المقبرة العمومية ؟

الحاجب : كلا يا سيدى .

الجنرال : حتى ولو لم يفتح الباب ؟

الحاجب : كلا يا سيدى الجنرال ، بل تريث .. الأمر لن يستغرق أكثر من قرن قصير .

(يبتعد الجنرال والمليونير عن باب المقبرة العمومية ، ويقتربان من السيدة والمجنون) .

الجنرال : فى الحقيقة أن مراعاة التمييز بين الطبقات فى هذا المكان أمر يؤسف له .

المليونير : ولم هذا ؟ اذا تساوينا فى الآخرة الأبدية ، فقد تحققت بيننا مبادىء الأخوة الحقيقية الجميلة . ما أقبح تلك الدعابة التى يطلقها رجال السياسة حين يبشرون الأحياء بتلك الأخـوة ، من غير أن يؤمنوا بها هم أنفسهم . ثم مبادىء الحرية ..

الجنرال : تعلمون يقينا أن الحرية بضاعة كمالية عنـد الشعوب التى نمت وترعرعت .

السيدة : (تصغى) انتبه ، من ذا الذى يقترب من جهتنا ؟

(تستدير وتنظر فى اتجاه الباب رقم ١ . ينهض الحاجب الجالس على كتلة حجرية فى الوسط تحت شعاع الضوء ، ويتقـدم لملاقاة القادمين الجدد) .

(يظهر خلال الباب رقم ١ فتاة فى العشرين من عمرها ، مرتدية ملابس بيضاء ، وشاب فى الثالثة والعشرين يرتدى سترة قصيرة « جاكتة » . ويمسك الاثنان كل منهما بيد الآخر ، فى لطف ورقة ، ويقفان خجلين على عتبة الباب . يتقـدم الحاجب نحوهما ببطء) .

(لحظة سكوت) .

الحاجب : تفضـــلى يا آنستى .. تفضـل يا سيدى .. سأقدمكما للحاضرين . (يخرج سجله الأسود ويطالع) : مدموازيل ماريكا زاتقانى ، توفيت فى سن العشرين ، ودفنت بالأمس ، السابع عشر من يونية عام ١٩٤٧ فى الساعة الحادية عشرة صباحا .. مسيو أندرى ليفورج ، توفى فى سن الثالثة والعشرين ، ودفن بالأمس السابع عشر من يونيـة عام ١٩٤٧ ، فى نفس الوقت الذى ماتت فيه الآنسة .

(يشير بالتوالى الى الحاضرين) : مـــدام تيسيلون ، جنرال دوڤيلمون ، مسيو فريدريك كاردان ، مسيو مارك ليون .

السيدة : تقدمى من فضلك يا آنستى ، وأنت أيضـا يا سيدى . أهلا بكما وسهلا . اننا نجتمع فى هذا المكان كل ليلة .

الشاب : شكرا لحسن استقبالك لنا يا سيدتى .

السيدة : قيل لنا ، منـذ هنيهة ، انكما دفنتما فى وقت واحد .

المجنون : فى أية ساعة ؟

الجميع : (يحتجون) أوه ! ..

الشاب : فى الساعة الحادية عشرة صباحا .

السيدة : هل متما اذن سويا ؟

الشاب : نعم يا سيدتى .. انتحرنا سويا ، ماريكا وأنا .

الجنرال : انتحار مزدوج ؟ ولم ذلك يا أولادى ؟

المليونير : ولأى شىء يمكن أن يموت الانسان بمشيئته فى سن العشرين ؟

السيدة : حكاية حب مفجعة ولا ريب ؟ قصا علينا ذلك .

الفتـــاة : (فى استحياء) أوه ! يا سيدتى ، فى بلدى ، المجر ؛ ينتحر الناس بكثرة .

الشاب : ان قصتنا عادية للغاية يا سيدتى . فماريكا وأنا ، كان كل منا يحب الآخر حبا جنونيا . وكان الواحد منا انما يعيش من أجل الآخر . على أن والدىّ لم يوافقا على زواجنـــا ، لأن ماريكا كانت أجنبية عنا .

المجنون : وأنتما أيضا كنتما تريدان الزواج ! .. يا عجبا ! لابد أن هذا المكان مستشفى للمجاذيب .

الشاب : كانت مواردى قليلة متواضعة . ولكننا أردنا أن نتزوج على الرغم من ذلك . وقطع أبى عنى

كل معونة . وعندئذ فضلنا أن نبقى متحدين في الموت .

المجنون : كانا فى حاجة الى دش جيد يشفيهما .

السيدة : كل هذا بديع . وكيف انتحرتما ؟

الفتـــاة : (تجلس على النعش) وضعت أزهارا على رأس فراشى ، بعضا من الأزهار التى أعشقها . وارتديت هذا الثوب الأبيض .

السيدة : يا للأولاد المساكين .. وبعد ؟

الشاب : أدرت جهـــاز الراديو .. وكانت المحطة تذيع مقطوعة « موت ايزولد » . وابتلعنا ، ماريكا وأنا ، ثلاثين قرصا من « الفيرونال » . وكنا متعانقين ، وتمنا وقد التصقت شفاهنا ، وصاحبت موسيقى « ڤاجنر » غفوتنا الأبدية .

الجنرال : عشرون سنة وثلاث وعشرون سنة .. يا لها من مأساة .

المجنون : يا لها من مهزلة ! ها ! ها ! ها !

المليونير : يا أولادى ، لقد أحسنتما صنعا ، انكما قد اقتصدتما بمجيئكما مبكرين للحاق بنا ، خمسين عاما من الشقاء والعذاب والآلام .

الشاب : نعم ، ولكن ألا يوجد فى الدنيا شىء غـــير الآلام ؟ ان فيها أوقاتا جميلة لم نسعد بها .

الفتـــاة : آه لو استطعنا أن نعود بالزمان الى الوراء ! حينئـــذ كنت أقول لأندرى (اننى لك ، مهما كانت العقبات . لنرحل .. لنرحل سويا !) أتفهمونى ؟ هل تفهمنى أنت يا سيدى ؟

المجنون : كلا ! ان الزواج موت بطىء ، يستمر حيـاة بطولها .

الفتـــاة : (للمليونير) أرادوا يا سيدى أن يفرقوا بيننا ! وكان ينبغى علينا أن نسخر من رأى أهلنا .

المليونير : ربما قد أحسنتما صنعا بالموت على أمل الحصول على السعادة . آه ! لو استطاع كل الناس أن يتشبهوا بكما .. أتعرفان ما هو الشىء الذى يقتل الحب ؟ أن يحياه الانسان . (للشاب) أنت تجهل كل شىء عن المرأة ! فاعلم أنها تشبه أجزاء العـالم الخمسة . فهى فى العشرين من عمرها ، حـارة كقارة أفريقية ، وفى الثلاثين مضطربة كآسيا ، وفى الأربعين ، ملكة فى الصنعة

كأمريكا ، وفى الخمسين منهوكة القوى مثل أوروبا ، وفى الستين مهجورة مثل الأوقيانوس .

السيدة : أوه ! يا مسيو كاردان ! أأنت الذى تقول هذا الكلام !

المليونير : وأسفاه ، لقد كانت حياتى مفعمة بألوان من خيبة الأمل .

الفتـــاة : سيدى ! .. انك بالتأكيد لم تعرف الحب .

المليونير : أصبت كبد الحقيقة ، يا آنستى ! ..ليس الحب أن نكون سعداء ، انما الحب أن نبحث عن الألم .

الشاب : (يضغط بحنـــان كتفى الفتـاة) آه ! آه لو استطعنا أن نبدأ من جديد !

المجنون : ينبغى حبس الاثنين !

السيدة : هل تعتقدان أنكما سوف تكونان سعيدين ؟

الشاب : أوه ! بالتأكيد .

الجنرال : احتفظا بايمانكما هذا أبد الآبدين . انه يا آنستى شعلة سوف تنير لكما الطريق الى الأبدية .

(وفى هذه اللحظة يسمع صوت بعيد ، يردد فى نغمة ناحبة .. افتحوا الباب .. افتحوا الباب .. افتحوا الباب ..) .

السيدة : (مصغية) أتسمعون ؟

المليونير : نعم ؛ هناك من ينادى .

السيدة : ومن أين يأتى النداء ؟

المليونير : (ينصت ناحية البابين ١ ، ٢) من المؤكد أنه لا يأتى من هذه الناحية .

(يقترب الجنرال والمليونير . يصغى الرجال الثلاثة فى سكون)

الجنرال : لا أسمع شيئا .

المجنون : يخيل الى أنهم يسألون عن الساعة .

الجميع : (يحتجون) أوه !

(صوت نحيب جديد . وفى هذه المرة يرتفع صوتان يناديان) .
« افتحوا الباب .. افتحوا الباب .. » .

المليونير : هذه الأصوات انما تأتى من المقبرة العمومية !

الجنرال : (مقتربا من الباب الكبير فى الوسط) نعم .. انها هناك .. تماما .. هناك .. تعالوا وأنصتوا .

(يقترب الرجال الأربعة من الباب وينصتون . تتردد السيدة والفتاة بادىء الأمر ، ثم تتقدمان لتنصتاهما أيضا) .

السيدة : هذه النداءات تأتى من المقبرة العمومية .. ما فى ذلك من ريب .. تعالى يا آنستى ، أنصتى .

(تسمع عندئذ أصوات تهمس فى سرعة أكبر من ذى قبل) : افتحوا هذا الباب !.. افتحوا هذا الباب ! .. افتحوا لنا هذا الباب ! ..

الفتاة : ولكن ماذا يحدث اذن ؟

المليونير : لا أعلم شيئا من ذلك البتة .

الجنرال : أين الحاجب ؟

المليونير : هل اختفى ؟

(تسمع أصوات تهمس خلف الباب تماما، فى سرعة متزايدة) افتحوا !.. افتحوا !.. افتحوا ! ..

السيدة : (تتراجع مع الفتاة) ولكن هاهم هنا .. قريبون جدا .. اننى أشعر بوجودهم .

الجنرال : هذى أول مرة أسمع فيها تلك النداءات فى المقبرة العمومية .

المليونير : تالله انه لأمر عجيب (يقترب من الباب الصغير الذى مر منه الحاجب وينادى) أيها الحاجب ! أيها الحاجب ! ..

الجنرال : ان اختفاءه لأمر غريب ، غرابة الأصوات المنبعثة من المقبرة العمومية .

الفتـــاة : (وقد ألصقت أذنها بباب المقبرة العمـومية) لم أعد أسمع شيئا بالمرة ..

السيدة : لقد سكتوا .. هذا عجيب .. أنصتوا ..

(الكل ينصتون ، وقد أداروا ظهورهم ؛ حين يظهر الحاجب فجأة وينظر اليهم فى سكون . وأخيرا يستدير الجنرال فيدرك أن الحاجب قد عاد) .

الجنرال : آه ! ها هو ذا . من أين أنت قادم ، أيهـا الحاجب ؟

الحاجب : ماذا كنتم تفعلون جميعا أمام هذا الباب ؟

المليونير : سمعنا نداءات فى المقبرة العمومية .

السيدة : انهم هناك خلف الباب يتسكعون .. ما معنى هذا ؟

المجنون : أليس عندهم ساعة حائط ؟

الجميع : (يحتجون) أوه ! ..

الحاجب : هذا يعنى يا سيدتى ؛ أن الموتى فى القطاعين الشرقى والغربى يتحركون منذ غروب الشمس . فما السبب ؟ لا أعلم ذلك بعد . سأذهب لاستقاء

الأخبار ، وسوف أخبركم بعد لحظة بالسبب فى هذه الضوضاء .

(يختفى الحاجب) .

(ينظر أشخاص القبو ، الواحد منهم الى الآخر ، دهشين من تصريحات الحاجب) .

المجنون : لعلهم يعطوننا دشا باردا .

الجنرال : أقر وأعترف بأننى لم أفهم شيئا فى هذا الأمر .

المليونير : فلنصبر وننتظر عودة الحاجب .

الفتـــاة : (للشاب) أريد أن أعرف يا أندريه .. اننى قلقة .

السيدة : أشعر أنه سوف يحدث شىء خارق للعادة .

المليونير : لا تبال ! لا يمكن أن يحـدث . تعلمون تمام العلم أنه لا يمكن أن يقع أى حادث يهـدد بتعكير صفونا وسكينتنا فى وقتنا الحاضر .

الجنرال : نعم ؛ ولكن .. فى العالم العلوى ؟

المليونير : يستطيع الأحياء أن يعملوا كل شىء ، ما عـدا ازعاج الموتى .

(تصل همهمة جديدة الى آذانهم من خلف باب المقبرة العمومية . وفى هذه المرة تسمع همسات) .

المليونير : انتبهوا .. أنصتوا اليهم وقد عادوا من جديد .

(يقتربون جميعا من الباب ويصغون) .

السيدة : هذا حقيقى .. انهم هناك .

(تزداد النداءات قوة) : افتحوا لنا .. افتحوا البـاب .. نريد المرور .

(يرتج الباب ، تحت ضغط موتى المقبرة العمومية . تتراجع السيدة والفتـاة بسرعة ، خائفتين ، ويتراجع الرجـال ببطء)

الجنرال : ولكنهم يريدون الدخـول هنا ، بأى ثمن !

(للمجنون الذى انحنى وأخذ ينظر من تحت الباب) : ماذا ترى ؟

المجنون : (على الأرض) أرى أقداما .. كثيرا من الأقدام ! أكواما من الأقدام !

المليونير : وذلك الحاجب الغائب .. (يذهب الى الباب الصغير وينادى) : أيها الحاجب ! .. أيهـا الحاجب ! ..

السيدة : استمر فى منـاداته .. انهم سوف يكسرون الباب .

المليونير : أيها الحاجب ! .. أيها الحاجب ! ..

الحاجب : (يظهر من جديد) ما الأمر ؟

المليونير : أنظر .

(يريه الباب الكبير) .

(ترتفع النداءات من جديد) : افتحوا .. افتحوا لنا الباب ! ..

الحاجب : لم يحاولوا أبدا قبل اليوم أن يفتحوا هـذا الباب !

(وعلى حين غرة ، ينخلع الباب تحت ضغط موتى المقبرة العمومية ، ويظهر رجل وامرأة فى الفتحة الفاغرة المظلمة ، ويضيئهما بالمكان نور أخضر . انهما الغانية والجندى الذى يرتدى حلته الرسمية الزرقاء ، وعلى صدرها بقعة حمراء) .

(وأمام هذا المنظر يتراجع أشخاص القبو نحو الباب رقم ١ ويكونون جماعة مضطربة حائرة تنظر فى قلق الى الفراة) .

(ويبقى الحاجب وحده واقفا أمام موتى المقبرة العمومية ، يشير اليهم بذراعيه المبسوطتين) .

الحاجب : (بلهجة حازمة) قفوا ! .. لا يدخل أحد منكم الى هذا المكان !

الجندى : (مخاطبا الموتى غير المنظورين فى السرداب المظلم) : الى الوراء ، ياهؤلاء . دعونا

نتكلم أولا معهم ! (للحاجب) يبدو أن هناك نبأ عظيما ، فقد سمعنا حركة صادرة من ناحية القطاع الغربى .

الغانيـة : أهناك اضطراب ؟ .. ما الأمر ؟

الحاجب : لا شيء .. أو لعلها أحداث تجرى ، لا أعلم عنها شيئا بعد . سأذهب للاستطلاع .. وفى انتظار عودتى ، عليكم أن تعودوا الى المقبرة العمومية .

الجندى : كلا .. كلا .. نريد أن نبقى .

الغانيـة : سنبقى هنا .. لن نعود حتى نعرف حقيقة الأمر .

الحاجب : فليكن .. انتظراهنا ، ولا تقتربا ، ابقيا مكانكما أمام الباب ، سأعود فى التو .

الغانيـة : ولكن من أولئك الأشخاص ؟

المليونير : (وقد اقتـرب من الحـاجب) قل اذن أيهـا الحاجب ، ما دمنا قد اجتمعنا بالصدفة ، فعرفنا بالسيدة وبهذا الجندى .

الحاجب : (يتردد قليلا ، ثم يخرج سجله الأسـود من جيبه ، ويقدم الشخصين أحدهما بعد الآخر) الجندى بارليه ، چان — مارى ، من السرية ٥٣٣ مشاة ، توفى فى الرابع من مايو عام ١٩١٧

فى جبهة شامپانى .. مدموازيل كرويسل الفونسين ، لوسى — ليا — بائعة هوى ، ماتت أول من أمس فى الثانية والعشرين من عمرها فى مستشفى لاريبوازيير (يغلق سجله) . والآن وقد قدمتهما ، سأنصرف لاستقاء المعلومات .

(يخرج الحاجب من الباب الصغير . يعم السكون . تنظر المجموعتان من الموتى ، احداهما الى الأخرى عن بعد ، وتلاحظ احداهما الأخرى فى اهتمام . يتقدم المليونير وحده خطوة من « المنطقة الحرام » التى تفصل الجماعتين احداهما عن الأخرى ، ثم يتقدم بادى العزم نحو الجندى ، ويربت على كتفه فى غير كلفة) .

المليونير : حسن ، ياصديقى ، كانت فكرتك صائبة ، حين أقدمت على فتح هذا الباب ؟

الجندى : ومن تكون ؟

المليونير : اسمى كاردان ، بنكير سابق .. وأنت ؟ جندى على ما أرى ؟

الجندى : نعم ، جندى بسيط . نحن موتى المقبرة العمومية ، اننا من صغار القوم الذين لا رتب

نهم .. اننى أتعفن ببطء ، بين شاعر غرق فى نهر السين ، وكولونيل روسى ، كان يعمل سائق تاكسى .

المليونير : ولماذا غرق الشاعر ؟

الجندى : انه البؤس يا سيدى .

المليونير : يا للرجل المسكين ! (للمرأة) : وأنت يا سيدتى ؟ ماذا كنت فيما مضى ؟

الغانية : بائعة هوى .

الجميع : (وقد فزعوا) أوه !

الغانية : (فى صوت أجش) أنتم مولعون بالعبارات الجميلة ، أتخافون من الألفاظ ؟

المليونير : كلا .. كلا .. أنا فاهم .. كنت تعيشين على المداعبات ، وانها غلطة مجتمعنا السيىء التنظيم .

الغانية : يا للألفاظ الرنانة ! .. هذه أيضا عبارات منمقة .. تعبيرات سياسية .. لقد احترفت الهوى ، لأننى ، بكل بساطة ، كنت أحب كثيرا ألا أعمل شيئا .

الجنرال : أرى أنك صريحة ، يا سيدتى ..

الغانيـــة : أوه ! أنت ، يا صاحب الرتب والنياشين ، نادنى باسمى « ليا » كما يفعل كل الناس .

الجنرال : كان عندى فيما مضى فرس ، كانت الأولى فى سباق الخيل ، وكانت تدعى « ليا » .

الغانيـــة : (على الفور) أما أنا فكان لى قوّاد سنة ١٩٣٩ ، عنده أيضا ثلاثة نجوم موشومة على بطنه . (الى الجندى) : قل لى ، ان الموتى فى مقابر الدرجة الأولى ليسوا من أهل الظرف والمروءة .

المليونير : أين كنت تزاولين مهنتك يا « ليا » ؟

الغانيـــة : فى ضاحية ســان دنيس .. عـــلى الرصيف الأيسر .

الجنرال : ولماذا الأيسر ؟

الغانيـــة : لأنه كان يوجد عــلى الرصيف الأيمن ، فرخ صغير ، لم أكن أحتمله ..

المليونير : فرخ صغير ؟

الغانيـــة : رجل غبى .. نعم ، طبعا ، مفتش آداب .

المليونير : آه ! ..

الغانيـــة : (للجندى) رجل غبى ، حقير .

الجنرال : انها امرأة مسلية .

الغانيـة : مسلية ؟ مؤكد .. كنت أسلى الرجال منذ كان سنى ١٤ سنة . هناك عمال يشتغلون فى مصانع ستروين . وأنا كذلك ، عاملة ، ولكنى لم أكن ألمع الشاسيهات ..

المليونير : مسكينة يا « ليا » .. أنت الضحية البائسة لعالم سيىء .

الغانيـة : (للجندى) سامع هذا الكلام ، يا صغيرى ! أنا أشكر الشـعراء والفوضويين ، والناس من أمثالك الذين يقولون فى صوت مرعوش اننا ضحايا ، بينما الحقيقة .. آه !

المليونير : أليس أمثالك ضحايا ؟

الغانيـة : ولكننا ضحايا الكسل بنـوع خاص ، أليس كذلك يا سيدتى ؟ (تخاطب السيدة) اذا كنت فى مركزى ، فانك لابد فاعلة ما كنت أفعل ، أليس كذلك يا سيدتى ؟

(تقترب منها وهى تتهادى) .

السيدة : تأكدى أننى لا أرميك بالحجارة .

(تقبل الغانية على السيدة وتتحدث معها وتزيل بذلك ما كان من فتور وشعور عدائى بين الفريقين . ويتجاذب المجنون أطراف الحديث مع الشاب والفتاة ، وهو جالس بالقرب منهما ، بينما يقف الجندى وحيدا متكئا على باب المقبرة العمومية) .

الغانيـة : (تفحص عقـــود وأساور ســيدة المجتمع ، الواحدة بعد الأخرى) كان عندك جواهر .. ما أجمل اللآلىء ، وما أحلى الماسات ..

السيدة : أعطانيها زوج ثرى .

الغانيـة : جاءك كل هذا من رجل واحد ؟

السيدة : نعم .. هو زوجى .

الغانيـة : أما انا ، فقد احتجت الى أربعين رجلا لأفوز بمشبك من جواهر مزيفة (تشير الى المليونير) أهذا الرجل زوجك ؟

السيدة : كلا ، ان زوجى حى يرزق ، كان رجلا ظالما سيء الخلق .

الغانيـة : الرجال عنـد المرأة كالبراغيث عنـد الكلاب

السيدة : لا تقولى هذا ، هناك رجال يستحقون أن يحبوا

لقد حرمنى القدر من طيب الحياة .. ما سبب وفاتك ؟

الفقيـــة : التهاب المبيض الذى اشتد وتحول الى التهاب بريتونى ، انها اصابة من اصابات العمل ، من غير شك !

السيدة : أرثى لك من كل قلبى .

الفانيـــة : (تربت عليها فى ود) هذا لطيف منك . ثم انكن معشر سيدات المجتمع الراقى ، تقعن بسهولة فى شراك الحب .

(يدرك المليونير أن الجنـــدى قد بقى واقفا عنـــد مدخل المقبرة العموميـــة ، فيقترب منه ، فى ود ظاهر ، كعادته ، ويخاطبه فى غير كلفة) .

المليونير : حسن ، يا صديقى .. أتبقى هكذا وحيدا ؟ تعال أقدمك الى الآخرين ، اذكر لى اسمك .

الجندى : بارليه ، چان مارى ، جندى ، مت فى عام ١٩١٧ .

المليونير : فى عام ١٩١٧ ؟ أنت اذن يا عزيزى من أبطـــال الحرب العالمية الأولى .. اننى سعيد أن أصافح رجلا شجاعا ..

(يمد اليه يده)

الجندى : (لا يمد يده) مت فى جبهة شامپانيا فى الرابع عشر من شهر مايو سنة ١٩١٧ ، عنـد مطلع الفجر .

المليونير : لك تهانىّ .

الجندى : أعدمت رميا بالرصاص .

المليونير : أعدمك الألمان ؟ .. يا لك من شاب مسكين !

الجندى : كلا .. بل أعدمنى الفرنسيون .

(أدار تصريح الجنـدى فجـأة رءوس الأشخاص الآخرين . تتوقف الأحاديث . يصغى الجميع بانتبـاه الى ما يقـوله الجندى) .

المليونير : أعدمت رميا بالرصـاص ؟ .. وأعدمـك الفرنسيون ؟ .. ولكن كيف .. أرمـوك بالرصاص ؟ ..

الجندى : كنت جنديا فى السرية ٥٣٣ مشاة .. فى الفيلق الرابع والسبعين . وقد رمانى بالرصاص بعض الزملاء من السرية ١١٢ القناصة ، ومعهم خمسة عشر من رفاق آخرين .

المليونير : هل ارتكبت خيانة ؟

الجندى : كلا يا سيدى .. لقد أعـــدمت لأكون عبرة لغيرى .. !

المليونير : (يلتفت مرتبكا نحو الجنرال) سيدى الجنرال.. لقد كنت قائدا للفيلق الرابع والسبعين عـلى ما أتذكر ؟

الجنرال : (ناهضا) كيف ذلك ؟

المليونير : سيدى الجنرال ، أرجوك أن تفهمنى . يقول هذا الرجل انه مات برصاص البنادق الفرنسية فى الفيلق الذى كنت قائده .

الجنرال : (مقتربا) هذا الجندى ؟

المليونير : نعم ، الجندى بارليه جان مارى ؛ الذى مات

(يلتف كل أشخاص القبو ، متلهفين الى مشاهدة لقاء الجندى والقـائد . يقترب الجنرال من الجندى الذى لم يتحرك من مكانه . يحييه الجندى تحية عسكرية ، ويرد له الجنرال التحية . يتحادث الرجلان فى غير عداوة ولا بغضاء ولا حقد ، شأنهما فى ذلك شأن شبحين تحررا من كل الأحداث الدنيوية) .

الجنرال : بأية وحدة كنت ملتحقا ؟

الجندى : بوحدة المشاة رقم ٥٣٣ .

الچنرال : فى أية كتيبة ؟

الجندى : الثانية .

الچنرال : آه ! نعم .. تلك التى تمردت فى الثانى عشر من مايو سنة ١٩١٧ .

الجندى : نعم ، يا سيدى الچنرال ، الكتيبة التى تمردت على أثر الهجوم الذى فشل فى الثامن عشر من أبريل .. تمردت لتحتج على أخطاء القادة الكبار ..

الچنرال : ورفضت أن تعود الى الجبهة ..

الجندى : أنا ؟ .. أبدا بالمرة .. لقد وجدت نفسى فى جماعة ، ثمانية أعشارهم كانت الحرب قد أنهكت قواهم ، وسئموا الموت الذى لا هدف له .. قبضوا علينا جماعات ، ورموا بالرصاص ، جزافا ، رجلا من كل عشرة .. (يردد) للعبرة .. رجلا من كل عشرة ..

الچنرال : كان لا مناص من رفع الروح المعنوية بين أفراد الجيش أمام العدو .

الجندى : نعم ، يا سيدى الچنرال .. أنا فاهم كل الفهم .. ولهذا رمونى بالرصاص ، أنا الذى كنت حسن

السلوك حتى ذاك الأوان .. ثم انك أنت الذى اعتمدت الحكم بالاعدام .

الجنرال : فى تلك الأوقات العصيبة ، لا تعرف العدالة الانسانية شيئا من .. (يتردد) .

الجندى : شيئا من العدالة ؟ .. هذا حقيقى . لقد تمردنا على أخطاء الغير ، وكنا نحن المخطئين .

الجنرال : ربما كنتم على صواب أمام ضمائركم ، ولكنكم كنتم مخطئين أمام الأمة التى انحطت روحها المعنوية . وكان الواجب ، مع الأسف ، أن تدفع أنت وزملاؤك ثمن تخاذلكم حتى لا تسول للآخرين نفوسهم أن يحذوا حذوكم .

الجندى : (يحيط ضوء المصباح الوهاج رأس الجندى بهالة من النور) كان من شأن موتى على الأقل أن يرفع من معنوية جنود المؤخرة . لقد أعدمونى بالرصاص فى الساعة الرابعة صباحا ، فى حقل ، وكان النهار يكاد ينبلج . ان تلك العدالة لترهب النور الساطع . وأعدم معى ، فى الوقت نفسه زميل متزوج ، له أولاد ، ولم يكن أسوأ ولا أجبن منى . وقد قال لى عندما صحونا ،

قبل اعدامنا : « تشجع يا صديقى ، فالرصاص لا وطن له ! » . وعندئذ تعانقنا ، وقبل كل منا الآخر ، لأننا قاسينا سويا طوال سنتين ، فى نفس الأوحال ، وفى نفس الخنادق ، ومن أجل نفس الأوهام .. الأوهام التافهة القبيحة ، أوهام السلم الأبدى ! وفارقنا الدنيا سويا تحت نفس الوابل من النيران ، فى آخر تصريح لنا بالراحة ، ذلك التصريح الذى أتى بنا الى هذا المكان !

الجنرال : (يحييه) أرجو منك الصفح ..

الجندى : (محييا) اننى لا أحمـــل لك أية ضغينة ، يا سيدى الجنرال ، مثلى فى هذا مثل المليون ونصف المليون من الرفاق الذين ماتوا عبثا من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ . قيل لنا اننا نكافح لكى نقيم الحرب ضد الحرب . ولكننا ، على العكس من ذلك ، قد أثرنا شهوة أنصـــاف المجانين،والمصابين بجنون العظمة الذين راحوا ، هنـــاك فى عالم الأحياء ، يعبثون بأحـــط غرائز الجمـــــاهير .. فياويل قطيع الآدميين الذين لا يعرفون كيف ينتخبون رعاتهم .

الجنرال : انك لا تحمل فى صدرك أية كراهية أو ضغينة ؟

الجندى : كلا ، يا سيدى الجنرال .. اسمعنى .. اننا صرعى كل الحروب ، من كل الأجناس ، نعرف طعم الراحة الحقة .. وقد تركنا للأحياء ذلك الندم الذى ينهش ضمائرهم لأنهم ضحوا بنا قربانا على مذابحهم بغير ما ذنب جنيناه .

(يدخل الحاجب من الباب الصغير ، ويلفت بوصوله أنظار كل الأشخاص الذين يستديرون نحوه ، متلهفين لمعرفة أخباره) .

الجميع : أيها الحاجب .. أيها الحاجب .. هل علمت شيئا ما ؟

الحاجب : (بلهجة من يكشف عن سر) نعم .. اننى أعلم الآن لماذا كان الاضطراب يسود الموتى .

الجميع : ماذا ؟

الحاجب : خبر هام من عالم الأحياء !

الجندى : الأمر اذن لا يهمنا . تعالى يا « ليا » .. ماذا يعنينا الآن ما يجرى فى عالم الأحياء .. تعالى !

الحاجب : انتظر ! .. ان الأمر يهمك .. انه يهم موتى المقبرة العمومية ، كما يهم موتى القطاعات الأخرى . استمعوا الىّ . لقد اكتشف أحد العلماء ، بعد أبحاث طويلة ، وسيلة لاحياء الموتى .

الجميع : ماذ تقول ؟

(ينظر أشخاص القبو الى بعضهم البعض ، منزعجين . أنهم سوف يفقدون بالتدريج هدوءهم وسكينتهم ، وتزداد حركتهم باطراد حتى نهاية الفصل) .

الحاجب : ان ما أقوله لكم حقيقى . فقد قام هذا العالم بتجارب على الحيوانات التى ماتت حديثا . وهو فى سبيل أن يقوم بهذه التجارب على موتى من الجنس البشرى ، يأخذهم جزافا من الجبانات .. وعلى ذلك ، فأنتم تدركون الآن مقدار القلق الذى يستبد بهم .. فغدا .. أو بعد أيام قلائل .. أو بضعة أسابيع ، يستطيع البعض منكم أن يعود الى عالم الأحياء .. هذا هو النبأ العظيم !

الشاب : (ينبرى من بين الجماعة ، ممسكا بيد الفتاة) أيها الحاجب ! .. أيها الحاجب ! .. ساعدنا فى أن نكون من المختارين .

الفتـــاة : أوه ! انني أريد أن أعود الى الحيـــاة ! .. أرجوك ، أعنّا على أن نحيي حبنا العظيم .

سيدة المجتمع : آه ، لو استطعت أن أبدأ من جديد ! .. أن أحيا حياتي من جديد ! (متحمسة) كم أود أن أعشق ليلا ونهارا ! .. وأن يكون لي عشاق !

الجندي : انني لا أطلب العودة الى الحياة الا لأحاول أن أشفي الأحياء من مرضى اشعال نيران الحروب .

الحاجب : انتظروا ! انتظروا ! لا تتكلموا جميعا في وقت واحد .. أنتم تقولون لي : ساعدنا في أن نكون من المختارين .. هذا الأمر ليس من شـــأني ، ولا دخل لي فيه .. انني أود مخلصا أن أدون أسماء المتطوعين ، ولكن اختيارهم من شأن الطبيب .. من يريد منكم أن يبعث حيا ؟

(وفي هذه الأثناء كان كل الموتى قد اقتربوا من الحاجب الذي أخرج مفكرته السوداء) .

الشاب والفتاة : نحن .. نحن .. يا سيدي !

الحاجب : (يكتب) مسيو أندريه ليفورج ومدموازيل ماريكا زاتفاني وأنت يا سيدي الجنرال ، هل أدون اسمك ؟

الجنرال : (فى كبرياء وأنفة) كلا ، أبدا ! ان الحروب فى المستقبل سوف تكون من صنع علماء الطبيعة وصبية المعامل . اننى لن أقاتل بأوانى التقطير

السيدة : أنا .. أنا .. قيد اسمى !

الحاجب : مدام تيسيلون .. حسن .

السيدة : (للغانية) وأنت أيضا ، أليس كذلك ؟

الغانيـة : آه ، كلا ! لقد رفهت عن الحيـــوان الآدمى بما فيه الكفاية .

الحاجب : وأنت يا مسيو كاردان ؟

الميونير : اننى أود أن أحيا ثانية ، بشرط ألا أعود غنيا .

الحاجب : سأكتب ذلك من غير أى ضمان .. (للمجنون) وأنت ؟ هل هذا الشىء يستهويك ؟

المجنون : (يتهرب منسلا بجوار الحائط) أبدا !.. أبدا !.. لا تمسنى .. اننى ميت .. ثم اننى تفوح منى رائحة الفينول ، وليس عندى ما ألبسه سوى قميص المجانين .

الحاجب : وأنت أيها الجندى ؟

الجندى : (بشدة) كلا .. (للغانية) أ « ليا » ، فلنرفض

هذه المنحة الخداعة .. ليس هناك من فارق بين وعاء القمامة وبين مخدع النوم سوى الرائحة العطـرية المختلفة .. تعالى ، يا أخت البؤس والشقاء .. انني لا أريد أن أقاتل فى سـبيل ارضاء الحكام المستبدين الحمـير ، وتجار الحروب ، من الجنس الأبيض ، الذين يصنعون الحروب بدماء الآخرين ! تعالى ! .. لنعد الى المقبرة العمومية .

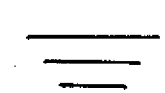

الفصل الثانى

انقضت ثلاثة شهور .

المنظر : مكتب البروفسور ماراكس ، فى مصحته المنعزلة فى وسط غابة سان چرمان .

نافذة فسيحة تفتح على أشجار الحديقة .

الساعة الخامسة بعد الظهر ، فى شهر سبتمبر .

وحين ترتفع الستار ، يشاهد البروفسور ماراكس منحنيا فوق قفص يضم فأرين أبيضين . « لودوڤيك » رئيس المرضين ، يجلس جانبا ، يدون بعض الملاحظات .

البروفسور ماراكس : لودوڤيك .. ان الحبيبين يتمتعان بصحة جيدة .. أنظر اليهما ! كم هما جميلان ؟

لودوڤيك : نعم ، أيها الرئيس .. اذا بعث هذان الاثنان ، فسوف تتوج تلك النتيجة عملك المجيد .

ماراكس : هل احتفظت فى مذكراتى بالتاريخ المضبوط لوفاة سامسون ؟

لودوڤيك : نعم ، لقد دونته .. سامسون ، فأر أبيض ، من النوع العادى ، وجد ميتا فى السابع من أبريل

فى قبو مدام لوتولييه المقيمة فى سان چرمان ، رقم ٣٠٤ ، طريق پواسى .

ماراكس : والشهود ؟

لودوڤيك : أسماؤهم مدونة هنا .

ماراكس : حسن ، وبعد ؟

لودوڤيك : « داليلا » ، فأرة بيضاء ، من النوع العادى .. وجدت ميتة فى السابع من مايو فى كرار مسيو فارو ، مزارع فى سان چرمان .

ماراكس : والشهود ؟

لودوڤيك : مذكورون هنا .

ماراكس : استمر .

لودوڤيك : تاريخ احياء هذين الحيوانين الثديين : الرابع عشر من يونية سنة ١٩٤٧ ، تبعا لما ورد فى التقرير وفى ملاحظاتكم التشخيصية .

ماراكس : حسن ؛ وبعد ؟

لودوڤيك : هذان الحيوانان القارضان ، بعد أن مر شهران على احيائهما ؛ عاشا خلالهما حياة عادية طبيعية ، تزاوجا فى العاشر من أغسطس

سنة ١٩٤٧ ؛ فوضعت الفأرة البيضاء أربع فأرات صغيرات فى صحة جيدة .

ماراكس : بديع ، سوف أحرر رسالتى بعد تفكير وترو .

لودوڤيك : (يقفل الملف) آه ، أيها الرئيس ، لا شىء غير هذا خليق بأن يجعلك من الخالدين ! وحين تتوج كشفك هذا فتقدم للعالم أولئك الآدميين الذين انتشلتهم من ظلمات الموت ، فسيكون لعملك هذا وقع انفجار القنبلة الذرية .

ماراكس : ماذا يقول الناس عن تجاربى ، فى هذا الحى ؟

لودوڤيك : تتهمك الألسنة الشريرة فى سان چرمان بأنك من « الساديين » القساة الذين يتلذذون بتشريح الجثث . أما مرضاك فانهم يخرجون من لدنك وهم يعلنون عنك قائلين : يا له من طبيب قادر على شفاء المرضى ! .. ان بعض الناس يصورونك دجالا ، والبعض الآخر يقولون عنك انك عبقرى .

ماراكس : وأنت يا لودوڤيك ، ما رأيك ؟

لودوڤيك : سألت نفسى عما اذا كانت لديك الشجاعة الكافية التى تدفعك الى مواصلة تجاربك حتى

النهاية . اذ أنه لابد من جرأة كبيرة لتقدم على استخراج الموتى من القبور واتيان مثل هـذا العمل الخطير .

ماراكس : عندما اكتشفت أشعة « دلتا » المنبعثة من معدن « السيلينيوم » وتأثيراتها فى الحياة العضوية ، سخر منى بعض علماء وظائف الأعضاء .

لودوفيك : واعتبروك مدعيا .

ماراكس : لم يكن هذا سببا يدعونى الى التـــوقف فى منتصف الطريق .

لودوفيك : ان الشيء الذى ما زلت عاجزا عن فهمه هو أن أشخاصك الستة ما زالوا أحياء منـذ ثلاثة وثلاثين يوما مضت . فهل أنت واثق تمام الثقة من أنهم سوف يتخطون حد الأربعين يوما التى تمثل الفترة الحرجة ؟

ماراكس : أعتقد ذلك . انهم سوف يعيشون .

لودوفيك : ولكنهم لا يتذكرون أى شيء .

ماراكس : لقد فقدوا الذاكرة تماما ، ونسوا شخصيتهم الأصلية .

لودوفيك : عظيم .

ماراكس : أشعر بأننى أستطيع أن أنتصر على القـــدر وأقول له : أمـــواتك ، أيها القـدر .. اننى أستردهم من بين يديك .. هاك ، انظر ..

(من خلال النافذة يبدو المجنون والمليونير اللذان بعثا أحياء ، يمران وهما يتحادثان حديث الأصدقاء) .

لودوفيك : لابد أن هؤلاء المرضى قد سألوك عن أسرهم .

ماراكس : لقد قدمت لهم جميعا تفسيرا واحدا لحالتهم ، ذلك هو : فقد الحركة والاحساس فقدا عرضيا ومفاجئا ، أعقبه فقد كلى للذاكرة .

لودوفيك : أليست لديهم أية ذكرى عن حياتهم السالفة ؟

ماراكس : انهم يعرفون أسماءهم ، ولا شيء غير ذلك لحسن الحظ .

لودوفيك : ولماذا ؟

ماراكس : ذلك لأنه ليست لديهم سوى رغبة واحدة : أن يعثروا عـلى أولئـــك الذين فقدوهم .. وهم يعتمدون علىّ لأعالج ذاكرتهم .

لودوفيك : هناك شيء يحيرنى ، ربما أكثر من تلك المعجزة .

ماراكس : وما هو ؟

لودوفيك : سكوتك . لِمَ لم تعلن حتى اليوم اكتشافك الرائع على هذا العالم المضطرب ؟

ماراكس : لأننى أريد أن أنتصر انتصارا مؤكدا . انك لتحزر لهفتى ونفاد صبرى ، أليس كذلك ؟ لم تنشغل الآلهة أبدا بمصير مخلوقاتها مثلما ينشغل بالى الآن ، وكأننى دجاجة ترقد على بيضها .

لودوفيك : انك لا تريدهم بالطبع أن يختلطوا بالناس .

ماراكس : نعم ، وبأى ثمن ، فلم تعد لهم حالة مدنية .

لودوفيك : (يضحك ساخرا) هل أنت واثق من شخصيتهم ؟

ماراكس : هناك أولا مسيو مارك ليون .

لودوفيك : (يضحك ساخرا) أما هذا فاننا نعرفه أكثر من اللازم ، فقد ظللت أعنى به ثلاث سنوات بين مرضاك المضطربين .

ماراكس : كان قلبى يحدثنى بأننى سوف أعثر عليه فى المقبرة التى نقل اليها .

لودوفيك : وذلك المدعو مسيو كاردان ؟

ماراكس : علمت أنه مالى من أصحاب الملايين .

لودوفيك : والاثنان الصغيران ؟

ماراكس : « روميو » الصغير يدعى « أندريه ليفورج » . لقد انتحرا من أجل الحب .

لودوفيك : ومدام تيسيلون تلك ؟

ماراكس : متزوجة ، لا عمل لها .. سيدة مجتمع ولا ريب .

لودوفيك : وتلك المرأة سوداء الشعر التى تعمل ممرضة متطوعة ؟

ماراكس : امرأة مجهولة .. أخرجت من المقبرة العمومية ، مومس مبتذلة .

لودوفيك : يا للخسارة !

ماراكس : هل أخطرت هؤلاء المرضى أننى سأكون فى انتظارهم لتناول الشاى فى الساعة الخامسة ؟

لودوفيك : نعم ، أيها الرئيس .

ماراكس : (ينظر خلال النافذة) ها هو ذا مسيو مارك ليون يقترب .

لودوفيك : أن بعثه حيا لم يحسن حالته العقلية . انه لم يعرفنى .

ماراكس : انه يتوهم نفسه طبيبا

(ينفتح الباب ، ويدخل المجنون ، وهو نفسه كما رأيناه فى الفصل الأول ، ولكنه يرتدى حلة أخرى . مشرق الوجه ، يبدو فى صحة طيبة) .

ماراكس : (يتقدم للقائه باسطا يده) مسيو مارك ليون .. كيف حالك هذا الصباح ؟

المجنون : حسن للغاية يا بروفسور .. كم الساعة الآن ؟

ماراكس : الرابعة والنصف (يقدم) مسيو لودوڤيك .

لودوڤيك : (منهمكا) تشرفنا يا مسيو مارك ليون .

المجنون : (ناظرا فى ساعة يده) قلت الرابعة والنصف .. أما ساعتى فانها تشير الى الخامسة والنصف .. بتوقيت الشتاء (يصحح وضع العقارب) . لقد تأكدت يا سادتى من أن معرفة الوقت الصحيح مسألة جوهرية حيوية .. وان وجود ساعة كبيرة برقاص يخفف من شعور المرء بالوحدة .. كيف صحتك يا مسيو لودوڤيك ؟

لودوڤيك : لا بأس بها .

المجنون : (جادا) سحنتك رديئة .

ماراكس : (يشير الى لودوڤيك ألا يعارض المجنون) نعم ان صحته ليست على ما يرام .

المجنون : (الى لودوڤيك) الأمر فى غاية السهولة . اجلس يا سيدى .. سوف أجس نبضك (يمسك بمعرقوبه ، ويشمر طرف بنطلونه السفلى

ويجس) . لك نبض ضعيف ولين .. نبض ضعيف لين .. (يلمح ترمومترا عاديا معلقا بالقرب من النافذة ، يتناوله ويدفعه مع قاعدته الخشبية فى فم لودوڤيك الذى يريد أن يحتج ، ولكن ماراكس يشير اليه ألا يرفض أى شىء للمجنون) صه ! .. ربما تكون حرارتك مرتفعة ! .. (يريد لودوڤيك أن يتكلم مع وجود الترمومتر السميك فى فمه) صه ! لا تتكلم ، فالكلام يرفع عمود الزئبق الى أعلى .. (الى ماراكس ، فى صوت خافت) : انه عصبى جدا .. لابد أن به ثورا فى مخيخه .. هل تسمح ؟ (يذهب الى المكتب ويتناول مدقة خشبية ، و « دياپازون » . يدق بخفة الجزء العلوى من رأس لودوڤيك ، بينما يقوم بيده اليسرى بذبذبة الدياپازون بدقه على خشب المقعد ، ويقارن بين رنين الصوتين الناتجين) پينج ! .. پانج ! ... پينج ! .. پانج ! ماذا قلت لكم ؟ .. نصف نغمة أقل .. (بصوت خفيض) يجب عليه أن يأكل مواد نشوية (للودوڤيك)

لا تبال يا صـــديقى ، اسمح لى .. (يسحب الترمومتر) ٥ر٢٣ درجة.. لابد أنك أصبت ببرد فى هذه الأيام .. (لماراكس) ضع له قالب طوب ساخن بين ســاقيه وثلجا عــلى عُصعُصه ؛ وسوف ينظم ذلك دورته الدموية .

لودوڤيك : أتعتقد أننى سوف أشفى من مرضى ؟

المجنون : أجل .. احترس من تيارات الهواء ، واشرب بأنبوبة من قش لتتجنب النقرس .. وحتى ذاك الحين ، سأضع على جبهتك لزقة خردل صغيرة . ان ضغط الدم عندك مرتفع (يتناول طابع بريد من صندوق صغير على المكتب ، ويبله بلسانه ويلصقه على جبهة لودوڤيك) : ها هو ذا . فاذا ألهبك هذا كثيرا ، انزعه بعد ربع ساعة .

لودوڤيك : (الذى يبذل جهدا حتى يحتفظ بمظهر الجد) شكرا يا مسيو مارك ليون ..

المجنون : (للبروفسور ماراكس ، على حدة) صــحته رديئة .. سيقتضى الأمر أن تفصــده من بين أصابع القدم (يلمح بارومترا كبيرا على الحائط ، ويظنه ساعة حائط كبيرة ، فيصحح الوقت فى

ســـاعة يده) : ساعتى تتأخر عشرين دقيقة .
(للبروفسور ماراكس ، بصوت خافت) : انى أريد أن أفحصه بتســـــمع دقات قلبه ، فقلبه يشغل بالى .

البروفسور : (للمجنـــون) مسيو مارك ليون .. انه تحت تصرفك ..

المجنون : هيا يا صديقى ، تفضل ! (ينحى صدرة المرض) شكرا !

(ينصت الى دقات القلب) عظيم .. يا للدقة المنتظمة ! وهو مع ذلك أسرع قليلا من المعتاد . حقيقى أنه من الأفضل أن يزداد النبض ، عن أن يشعر الانسان بطعم ردىء فى الفم . كح من فضلك .

لودوفيك : لا أستطيع أن أكح .

المجنون : انه لا يكح ؛ فليس عنده حبوب ضد الكحة ..

(جرس التليفون يرن) .

ماراكس : آلو .. نعـــم .. من ؟ .. ساكن الغـــرفة ١٤ ؟ حسن ، سأذهب .. لودوفيك ، تعال معى .

لودوفيك : (للمجنون) معذرة ، لبضع لحظات .. سنعطى مريضا حقنة .

ماراكس : سأعود بعـــد لحظة .. تناول شـــيئا من « البورتو » [1] ، وتجد هنا السجائر ..

المجنون : شكرا ، أيها البروفسور .

(يشير البروفســور ماراكس للودوفيك بنزع الطـــابع الملصـــق على جبهتـــه ، ويخرجان ، ويبقى المجنون وحيـــدا ، فيصب لنفسه كوبا من البورتو . ينفتح باب المؤخرة ببطء ، ولا يراه المجنون . ويظهر المليونير ، فينظر الى المجنون الذى يبصق البورتو بشدة) .

المليونير : صباح الخير يا مسيو مارك ليون .

المجنون : هذا أنت ، يا مسيو كاردان ؟ .. هل تبحث عن البروفسور ماراكس ؟

المليونير : نعم ، لقد دعانا الى المجيء لمقابلته فى الساعة الخامسة .

المجنون : لقد استدعى الى جوار أحـــد المرضى . كم ساعتك ؟

---

(١) « البورتو » نبيذ برتغالى .

المليونير : (ناظرا الى ساعته) الخامسة الا عشر دقائق .

المجنون : (مصححا ساعته) ساعتى تتقدم عشر دقائق .

المليونير : اسمع يا صديقى .. (يمسكه من ذراعه) هل رأيت فى حياتك رجلا سعيدا ؟

المجنون : السعادة لا ترى . ان الانسان يشمها كما يشم الثوم والبصل .

المليونير : اذن شمنى جيدا .

المجنون : (يشمه) ماء كولونيا ونفتالين .

المليونير : لقد غمرنى هذا المساء شعور عظيم بالفرح . ان الزملاء الناقهين يستطيعون أن يتبادلوا بعض الاعترافات ، أليس كذلك ؟ (يجلس بالقرب منه) . هل لاحظت تلك المرأة الجميلة التى تقيم فى جناحنا ؟

المجنون : مدام تيسيلون ؟

المليونير : انها جميلة ، هيه ؟

المجنون : أجل ، انها جميلة كرقاص الساعة .

المليونير : ايه ! حسن يا صديقى .. (بصوت خفيض) لا تقل هذا الكلام لأحد . لقد جاءت فجأة من أربعة أيام تماما لترانى .

المجنون : وأين كان ذلك ؟

المليونير : فى غرفتى ، بعد الغداء ، هل تعرف السبب ؟

المجنون : لتسألك عن الوقت .

المليونير : كلا ! لقد اعترفت لى بأنى أروق لهـا كثيرا وأن .. وأنها سوف تكون أسـعد امرأة اذا شاركتها شعورها هذا . ماذا كنت تفعل لو كنت فى مكانى ؟

المجنون : كنت أهرب من النافذة .

المليونير : أوه !

المجنون : أنت تعلم أننى أكره النساء .. أف لهن ! هناك ثلاثة أشياء يتألم منها الرجل : التهاب فى اصبعه بجوار ظفره ، وذرة من الرماد فى عينه ، وامرأة فى حياته .

المليونير : يا له من كلام شائن مهين !

المجنون : هل ارتضيت ما عرضته هذه المرأة ؟

المليونير : نعم ، وهى قد أثبتت لى أيضا حبها .

المجنون : هل قابلتها فى غرفتك ؟

المليونير : مرتين .

المجنون : كن على حذر ! ففى المرة الثالثة سوف تجدث

جلبة وضوضاء وسوف تنتظر منك هدية .

المليونير : حدثت مقابلة ثالثة .. بعد ظهر أمس .

المجنون : وعندئذ ؟

المليونير : وعندئذ عرضت فعلا مسألة الهدية .

المجنون : ألم أقل لك ذلك ؟

المليونير : أنظر (يريه خاتما فى اصبعه) .

المجنون : ما هذا ؟

المليونير : الهدية .. لقد أعطتنى خاتما من خواتمها !

المجنون : (ينظر الى الخاتم) كنت أفضل لك كرونومترا .

المليونير : أتقول بعد هذا ان تلك المرأة مغرضة ؟

المجنون : كلا ، انها مغرية .

المليونير : (مسلوب الفؤاد) : اننى محبوب يا مسيو مارك ليون ! وقد برهنت لى على ذلك ! (يفيض بهجة) . أتدرك يا صديقى معنى أن يكون الانسان محبوبا لشخصه ؟

المجنون : هذا يعنى اقتصادا رائعا .

المليونير : أن يكون الانسان محبوبا لشىء غير نقوده ، انه لأمر بديع !

المجنون : اننى لاأتذكر مع الأسف اذا كنت محبوبا من

أحد ! ولكن مهنة العاشق تلك ، انها لمهنة شاقة لا تحتمل .

المليونير : مهنة .. أن تكون عاشقا ! أوه !

المجنون : بالتأكيد .. ان العشاق أمثال دون چوان ، فنانون خبيرون فى الحب . فهم يحبون النساء بالطريقة نفسها التى يصلح بها الكهربائى جهاز الراديو . فلكل عشيقة موجتها الخاصة بها ؛ موجة ذات طول معين . والعاشق المكتمل يعرف كيف يضبط آريته (جهاز الايريال) . فهو يعلم أنه اذا لثم تلك الرقبة المرتجفة فانه سوف يحظى بالنعيم ، وأنه اذا استمع الى تلك المرأة الرخيصة المبتذلة فانه سوف يقع فريسة الحشرات الطفيلية .

المليونير : يا لك من خليع ماجن !

(تمر امرأة فى تلك اللحظة ، بتؤدة ، أمام النافذة .. ويراها المليونير فيومىء للمجنون) .

المليونير : أنظر الى هذه المرأة التى تمر ..

المجنون : أهى صديقتك ؟

المليونير : أنظر جيدا .

المجنون : (يقترب من النافذة) آه ! كلا .. انها المرأة الصغيرة سوداء الشعر ، التى تعالج أيضا فى جناحنا .

المليونير : انها تروق فى نظرى .

المجنون : سوداء الشعر بعد الشقراء ! .. أنتم تلعبون لعبة الثعالب فى أقفاص الدجاج .

المليونير : (يرقبها) تبدو وكأنها قادمة الينا .. عظيم ! سوف أغازلها قليلا . الا اذا ..

المجنون : أوه ! أما أنا فأنت تعلم آرائى !

المليونير : (ضاحكا) أجل .. انك لن تتردد بين امرأة وبين شر مستطير .

المجنون : (يملأ كوبه) سأشرب كوبا .

(يقرع أحدهم الباب) .

المليونير : أدخل .

(تظهر الغانية كما رأيناها فى الفصل الأول . ولكن بدلا من ثوبها الأسود ووجهها الذى ينضح بالرذيلة ، نراها فى مظهر شابة ليس على وجهها الا القليل من المساحيق ، شعر رأسها مرتب أبدع ترتيب ، وترتدى ثوبا بسيطا يعلوه صدرة الممرضات) .

الغانيـــة : أوه ! معذرة يا سادتى !

المليونير : تفضلى وادخلى يا آنستى .

الغانيـــة : أسعدت صباحا يا مسيو مارك ليون .

المجنون : صباح الخير ! .. صباح الخير ! .. (يتقـدم فجأة نحـــو النـــافذة وينظر فى قلق) أوه .. لا تؤاخذونى .. لابد أن بستانى البروفسور مريض .. أنا ذاهب للعناية به .

الغانيـــة : ماذا به ؟

المجنون : انه يتسلق شجرة الحور .

الغانيـــة : وبعد ؟

المجنون : (يخرج مسرعا) المسكين ! (كمن يبوح بسر) : ليس هناك شجرة حور ! (يخرج) .

الغانيـــة : (للمليونير) المسكين ، ان به لوثة ، فهو يعتقد أنه طبيب ، ولكنه مع ذلك غير خطر .

المليونير : (متلطفا) اننى أعجب لصبرك مع المرضى .

الغانيـــة : ينبغى على الانسان أن يكون طيبا مع أولئك الذين يتألمون .

المليونير : ومع أولئك الذين يجدونك جميلة فاتنة ؟

الغانيـــة : مسيو كاردان ، ما هذا الذى تقول ؟

المليونير : تعلمين أنك تروقين لى كثيرا !

الفانيـة : لست هنا لأروق للناس ، وانما لأعتنى بهم .

المليونير : (يضع يده على خصرها) اننى لم أعد مريضا .. اسمعى ، تعالى واقرئى لى شيئا هذا المساء .

الفانيـة : (تدفعه عنها) ارفع يدك عنى ! ..

المليونير : أوه !

الفانيـة : الرجال أمثالك تعافهم نفسى .. انكم لا تفكرون الا فى هذا الشىء .. اذهب وامرح مع مدام تيسيلون .

(تخرج مسرعة من باب المكتبة) .

المليونير : يا للخسارة ! .. (طرق على الباب) : أدخل ..

(يظهر الشاب . يتردد قبل أن يدخل) .

الشاب : طاب يومك يا مسيو كاردان . هل البروفسور ماراكس موجود ؟

المليونير : أدخل يا مسيو ليفورج .. اننا فى انتظاره الآن .. ولكنى لا أرى رفيقتك ؟

الشاب : (مكتئبا) زوجتى غاضبة عابسة .

المليونير : أتعشم مع ذلك أن تأتى ؟

الشاب : كلا قبل الظهر ، وفى أثنـــاء الغذاء بعد الظهر ..

المليونير : هيا ! هيا ! نادها .. تعال ، اليك التليفون ، قل لها انه سوف يسوؤنا جميعا تخلفها .

الشاب : (ذاهبا الى التليفون) سأحاول (فى الساعة) : أعطنى من فضلك الغرفة رقم ٥ فى الجنـاح ب .. (ينصت) الغرفة ٥ .. كيف لا تجيب ؟.. دقى الجرس ثانية ، أرجوك يا سيدتى .. آلو .. الغرفة ٥ .. هذى أنت يا ماريكا ؟ .. ردى علىّ ، هيا يا عصفورتى الصـغيرة .. اسمعى ، تلك المشاجرة كانت سخيفة .. تعالى يا يمامتى .. الجميع ينتظرونك هنا .. أرجـوك أن تأتى حالا ، يا بطتى الصـغيرة .. (ينصت بفروغ صبر) آه ! لا تكثرى من الصراخ والعويل .. لا تعودى الى الشجار .. أجل .. أجل .. انى أخطأت .. تعالى .. تعالى بسرعة ! .. (يعيد السماعة مغيظا حانقا ، ويذرع الغرفة وقد أطبق يديه) أوه ! .. أوه ! هذا شىء يغيظ !

المليونير : حسن ؟ ستلحق بنا المدام ؟

الشاب : كلا ! .. أعنى .. نعم ! ولكنى أفضل أن تبقى مغضبة فى غرفتها .. وكفى ما نالنى منها ، يا مسيو كاردان .. كفى ما نالنى حتى الآن على لسان تلك المرأة السليطة المشاكسة .

المليونير : هل بدأت هـذه المشاحنات الصغيرة من يوم الحادث الذى وقع لكم ؟

الشاب : أظن ذلك ، فالواقع أننا ، هى وأنا ، لا نتذكر شيئا من أمرنا ، لقد عالجونا هنا ..

المليونير : لا تبال ! كل الأحبة يتشاجرون . ان عاطفة كبيرة من غير شجار ، كفرخة من غير توابل .

الشاب : (معترفا) الحياة الزوجية معها جحيم .. (بصوت خفيض) : أتعلم ما تفعله معى حين أنام ؟

المليونير : كلا !

الشاب : انها تبخ فى أذنى بالرشاش ، هكذا ، .. پوفت ! پوفت ! فأرى فى الحلم أننى نائم على قاطرة .. واستيقظ ، وأمسك بها ، فتقول لى ان الرجل الشهم لا يغط فى النوم بجوار زوجته ومع ذلك فلابد أن أنام . اننى لا أستطيع أن أمضى طول الليالى فى .. فى ..

المليونير : يا لك من رجل سعيد ! هذا هو الحب ..

الشاب : انتبه ، انى أسمعها ..

المليونير : هيا .. اصطلح مع عصفورتك الصغيرة ، وأتيا الى المكتبة ننتظر عودة البروفسور .

الشاب : (يذهب الى الباب وينادى الفتاة) ماريكا !

الفتـــاة : ها أنذى ! ها أنذى !

(تظهر الفتاة ، وتبدو عكرة المزاج ، تصلح من شعرها الذى شوشه الهواء فى الحديقة) .

الفتـــاة : أأنت متعجل الى هذا الحد ؟

الشاب : لا لأراك بالطبع ! .. ولكن الطبيب ينتظرنا . ولنراع الأدب على الأقل .

الفتـــاة : لست فى حاجة الى دروسك .

الشاب : كم أنت بارعة فى اثارتى !

الفتـــاة : (حانقة ، تنظر الى وجهـــا فى المرآة) أنت مهذب ؛ كسائسى الخيل .

الشاب : اسمعى يا ماريكا ، ألم تنته بعد ؟

الفتـــاة : ما الذى انتهى ؟

الشاب : مزاجك العكر .. انظرى الى سحنتك المقلوبة ..

أنت لا تطاقين ، منذ هذا الصباح .. (مصالحا)
يا عصفورتى .. لماذا تعبسين ، منذ هذا الصباح ؟

الفتـــاة : آه ! هذا هو الأمر اذن ! ها أنذى أعبس الآن !

الشاب : ولا تسمين هذا عبوسا ! وأشد ما فى المسألة أنه لا حق لك أبدا فى كل هذا .
ماذا فعلته معك ؟

الفتـــاة : (باحتقار) لا شىء .. لا شىء تقريبا .. أنت كنت السبب فى حادث سخيف نزل بنا ، وشل حركتنا هنا ، ألا تجد ذلك عجيبا ؟

الشاب : اسمعى ، انى لا أتذكر شيئا مما حدث .

الفتـــاة : آه ! ان الحياة الزوجية معك شىء سار بهيج ! فى النهار السيد يطالع ، وفى الليل السيد ينام !

الشاب : اننا نطالع سويا ، يا زوجتى الثرثارة ، وننام سويا .

الفتـــاة : أنت تنام ، ولكنى أسهر الليل .

الشاب : وأنا لا أستطيع مع ذلك أن أظل طول الوقت ، دون توقف ، ألقى على مسامعك غزلا .

الفتـــاة : ماذا تعنى ؟

الشاب : (مغيظا) أعنى أننى لست حيوانا ! هكذا !

الفتـــاة : (تصرخ) أوه ! .. أوه ! .. يا للوقاحة ! أوه ! .. أيقولون عنى اننى بركان ؟

الشاب : (يمسك بها من معصميها) بركان ؟ لا .. انما أنت ورقة لزق ..

الفتـــاة : (مختنقة) أيها الوحش !

الشاب : أيتها المرأة الكريهة !

الفتـــاة : ما أنت الا من الأوباش !

الشاب : وأنت امرأة قذرة .

(تجذب صيحاتهما المليونير الذى يظهـر على عتبة باب المكتبة) .

الشاب : (بصـوت خفيض) احتشمى .. ها هم أناس قادمون .

المليونير : (مبتسما) آه ! .. كنت آسفا عـلى غيابك يا سيدتى العزيزة .

الفتـــاة : (تحاول أن تكون مؤدبة) أنت لطيف ، يا مسيو كاردان .. ولكنى أقسم لك أنه لابد من قدر معين من الشجاعة لكى .. لكى ..

المليونير : لكى ..

الشاب : هيا ، قولى !

الفتـــاة : (مشيرة اليه) لكى أرافق هذا القط الغليظ . آه !

المليونير : (مسالما ، وفى طيبة) هيا ! هيا ! ، شـجار المحبين .

الفتـــاة : ان حياتى كلها عذاب مقيم .

الشاب : (ساخرا ومشاكسا) لقـد قلت للمسيو كاردان ما تفعلينه معى فى الليل ؟

الفتـــاة : ماذا ؟ .. هل جرؤت ..

المليونير : أجل .. أعلم .. الرشاش ، بفت ! بفت ! فى كل اذن لايقاظه .

الفتـــاة : (تتخذه شاهدا) يا مسيو كاردان .. أود أن أسألك .. ماذا ينبغى أن يفعله الرجل حين تكون له امرأة جميلة راقدة فى فراشه ؟

المليونير : (ضاحكا) عليه أن يطلب بوليس النجـدة بالتليفون :

الشاب : (منتصرا) آه ! أرأيت ؟

الفتـــاة : أنتم يا رجال ، انكم تؤيدون بعضكم البعض دائما !

(يدخل المجنون مسرعا) .

الشاب : نهارك سعيد يا مسيو مارك ليون .

الفتـــاة : نهارك سعيد يا مسيو ..

المجنون : نهاركم سعيد .. نهاركم سعيد ..

(تظهر الغانية) .

الغانيـة : (للفتاة) كيف حالك يا سيدتى ؟

الفتـــاة : سيئة للغاية ، أشكرك .

المجنون : (يربت على ظهر الشاب) كم الساعة عنـدك يا مسيو ليفورج ؟

الشاب : الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرون .

المجنون : (يصحح ساعته) ساعتى تتقـدم أربع دقائق (يريهم كتابا) : تصـوروا أننى قد تصفحت لتوى هـــذه الطبعة القـــديمة من كتاب « ويرذر » .. الانتحار من أجل الحب ، يا له من شيء جميل !

الشاب : (ينفجر ضاحكا) آه ! تقصد : يا له من جنون !

الفتـــاة : (للغانية) هل كنت تقتلين نفسك من أجـل رجل ؟

الغانيـة : أجل ، بشرط ألا أصيب الهدف !

البروفسور : (داخلا) أوه ! .. آسف كثيرا يا أصـدقائى

الأعزاء .. لقد استدعيت الى جوار احـدى مريضاتى .. تفضلوا اذن بالدخول الى المكتبة.. فسنكون فيها على أحسن حـــال ، ونتبادل الأحاديث .. أرجوكم ؛ سيداتى ..

(يمر المدعوون الى الغرفة الأخرى ، وهم يتبادلون الأحاديث ، ويدخل الجميع الى المكتبة ما عدا البروفسور ولودوڤيك) .

البروفسور : أنظر ، ان احدى مدعواتى لم تحضر .. مدام تيسيلون غائبة .. هل أخطرت مدام تيسيلون أننى أنتظرها هنا ؟

لودوڤيك : أجل .

البروفسور : اتصل تليفونيا بالجناح ب .

لودوڤيك : (فى السماعة) آلو ! الجناح ب ، آلو .. هذا أنت يا مسيو بلينيتز .. أرجوك أن تلقى نظرة فى الغرفة رقم ٤ ؛ فقد تكون مدام تيسيلون متعبة .. ماذا ؟ .. نعم ، سأنتظر على السماعة .

البروفسور : ان الزوجين الشابين يتشاحنان على الدوام ، كالكلب والقط . لقد شوهدا وهما يتعاركان . اننى أخطأت حين جمعت بينهما .

لودوفيك : كانا قد انتحرا بسبب الحب !

البروفسور : تماما ، انهما لم يتفقا الا فى العالم الآخر .

لودوفيك : (فى السماعة مدهوشا غاية الدهش) ماذا ؟ ماذا تقول ؟ ليست فى غرفتها ؟

البروفسور : (فجأة) مدام تيسيلون ؟ .. ليست فى غرفتها ؟.. أين هى ؟

لودوفيك : (يعيد السماعة) انه لا يعرف شيئا عن مكانها .

البروفسور : يجب العثور عليها فى الحال ، اذهب بسرعة يا لودوفيك .. أدخل فى كل غرف الجناح ب ، واذا لم تجدها فى أية منها ، ابحث فى المبنى المتوسط .

لودوفيك : (يخرج) نعم يا سيدى .. أوه ! لا يمكن أن تكون بعيدة كثيرا (تسمع مشاحنة عنيفة عند الباب) .

البروفسور : ما هذا ؟

(ينفتح الباب بشدة وتدخل السيدة أرملة مارك ليون ، فى ملابس الحداد ، وعلى وجهها نقاب من « الكريشة » . تنحى لودوفيك الذى يحاول أن يهدىء روعها) .

أرملة مارك ليون : أريد أن أرى البروفسور ماراكس .. أريد أن أراه ، دعنى .. دعنى .. هيا اذن ! ..

لودوفيك : البروفسور مشغول يا سيدتى .

الأرملة : أقول لك مرة أخرى انى أريد أن أراه .. اتركنى اذن .

البروفسور : حسن يا لودوفيك .. أدخلى يا سيدتى ..

لودوفيك : سمعا وطاعة أيها الرئيس .

البروفسور : سيدتى ؛ أنا الدكتور ماراكس .

الأرملة : طاب نهارك يا دكتور ! آسفة لازعاجك ، ولكن لابد لى أن أكلمك .

البروفسور : اتركنا يا لودوفيك .

(يخرج لودوفيك) .

البروفسور : ما المسألة يا سيدتى ؟

الأرملة : ألا تعرفنى يا دكتـــور ؟ .. (تنحى نقـــابها « الكريشة » بحركة ملؤها العظمة والجلال) أنظر جيدا .

البروفسور : مدام ؟

الأرملة : (بابتسامة عريضة) اننى أرملة ؛ يا دكتور ..

البروفسور : حدثنى قلبى بذلك يا سيدتى .. انه لما يؤلمنى

أن أستقبلك فى مثل هذه الظروف المحزنة .
ولكن ، من لى الشرف بمحادثتها ؟

الأرملة : سيدى الدكتور ، انك لم ترنى من قبل لأننى كنت فى أعمق أعماق مراكش حين توفى زوجى المسكين ، وقد أدركنى نبأ وفاته متأخرا عشرة أيام ، فأسرعت بالمجىء بالطائرة لأستلم التركة .

البروفسور : ولكن فى النهاية .. من تكونين يا سيدتى ؟

الأرملة : أنا أرملة المسيو مارك ليون .

البروفسور : (منتفضا) المسيو مارك ليون ؟ الذى عولج ثلاث سنوات فى مصحتى ؟

الأرملة : أجل يا دكتور . كنت قد رحلت من يوم أن حجز فى المصحة لأحيا حياتى فى شمال أفريقيا ، وأنا أعلم أن مارك لم يكن قابلا للشفاء .

البروفسور : لم يكن العلم ، مع الأسف ليستطيع أن يفيده بشىء .

الأرملة : لقد كان خَرِفًا كل الخَرَف ؛ أليس كذلك ؟

البروفسور : الأمر أسوأ من ذلك .

الأرملة : ضع نفسك مكانى اذن يا دكتور .. كنت مقترنة بمجنـــون ، ولم أكن أستطيع الطلاق ، كنت

مقيدة الى رجل مسكين معتوه ، يتلهى بالنفخ فى البـوق فى المكاتب .. لم أكن أستحق كل هـذا ..

البروفسور : وقصارى القول فان وفاته قد أزالت غمتك ، وطيبت نفسك .

الأرملة : لا تقل لى هذا الكلام .. ولكنى سأحدثك لتوى عن الغرض من زيارتى . لقد ذهبت بالأمس الى مكتب موثق العقود الذى قرأ لى وصية زوجى . وانها لوصية مضحكة ..

البروفسور : وكيف ذلك ؟

الأرملة : أجل يا دكتور . واحكم بنفسك . لقد أوصى بعلبة سجائر فارغة لمستر ونستون تشرشل ، وصندوق كافيار فارغ لمسيو ستالين ، وعلبة كارتون فارغة من علب سجائر « لكى ستريك » للرئيس ترومان .. وكم كنت خجلى أمام الكاتب الأول الذى كان يتلوى من الضحك .. أما فيما يتعلق بعمـاراته الاسـتغلالية الثلاث الكائنة بشارع (بوتزانفان) ، فانه أوصى بها لمسيو موريس توريز . وقد قال لى موثق العقود انه

من حسن حظى أننى أســـــتطيع الطعن فى الوصية ، نظرا لحالة زوجى العقلية .

البروفسور : اننى أدرك ما أصابك من خيبة الأمل يا سيدتى..

الأرملة : أليس كذلك يا دكتور ؟ .. فمن ناحية ، كانت وفاة زوجى تحريرا لشخصى يرخص لى بالزواج بمن أحب .. (خجلة) فانى أحب ! .. آه ، نعم أنا أحب !!

البروفسور : وأين هو ؟

الأرملة : (بدلال) فى مراكش .. انه يزرع البلح . ومن ناحية أخرى فان وفاة زوجى خسارة تامة ، فى الوقت الحاضر على الأقل .

البروفسور : أجل يا سيدتى ! ولكن ماذا بوسعى أن أؤديه لك ؟

الأرملة : حسن يا دكتور ، هذا هو .. كان زوجى يلبس دائما خاتما به ماسة ذات ثمانية قراريط ، وهى ماسة زرقاء من البرازيل ، وتقدر اليوم بثمن كبير .

البروفسور : هذا صحيح .

الأرملة : ماذا حدث لها ؟

البروفسور : لمن ؟

الأرملة : للماسة ؟

البروفسور : أتسألينني أمرا أجهله كل الجهل .

الأرملة : ألم تجمع حوائج زوجي الشخصية التي وجدت في غرفته حين توفي ؟

البروفسور : لم يسلمني أحد شيئا على الاطلاق .. وانى لأجهل كل هذه التفاصيل . ولكنى سأسأل في التو رئيس الممرضين .

(يدق الجرس) .

الأرملة : أنت تعرف أن ماسة ذات ثمانية قراريط لا يمكن أن تختفي هكذا بسهولة .

البروفسور : حقا . وانما لا يخفى عليك أننا كنا نتعامل مع رجل مجنون ، ولابد أن يتوقع الانسان أي شيء من جانب هؤلاء الناس المساكين الذين فقدوا قواهم العقلية . (يظهر لودوفيك) .. لودوفيك .. مدام مارك ليون ، الحاضرة هنا ، تقول ان المرحوم المسيو ليون قد ترك حتما أشياء ثمينة في غرفته ، فهل سلمت هذه الأشياء الى مخزن المهمات ؟

لودوفيك : لا أعلم .

البروفسور : اذهب حالا واستفسر عن ذلك ثم عد .

لودوفيك : سمعا وطاعة يا سيدى .

(يخرج لودوفيك) .

الأرملة : ثم انى كنت مع ذلك غبية ، وكان يجدر بى ، منذ زمن طويل ، أن أفكر فى أمر هذه الجوهرة فلا أتركها فى اصبع مارك .

البروفسور : ذلك عين الفطنة .

الأرملة : أتعتقد أنه فى امكان مجنون أن يبتلع جوهرة من ثمانية قراريط ؟

البروفسور : هذا ممكن . لقد عالجنا فى هذا المكان شخصا مريضا بانعدام الارادة انعداما كليا . كان يفك « براشيم » الأسبيرين ، ويضع فى داخلها نقودا ذهبية . وكان يبتلعها بعد ذلك كلما اشتكى من التهابات عصبية . ولما مات عثروا على كنز فى معدته .

الأرملة : آه ! أترى ذلك ؟

البروفسور : ولكن أسرته لاقت بعض المتاعب .

الأرملة : وكيف كان ذلك ؟

البروفسور : وضعت ادارة الضرائب الأختام على مصارين الميت ، واضطر أولاده أن يتنازلوا للحكومة عن الذهب الذى لم يخطروا عنه .

الأرملة : يا الهى ، كان يجدر بى أن أفكر فى ذلك .

البروفسور : فيم ؟

الأرملة : لو كنت على علم بهذا الأمر من قبل ، كنت قد طلبت اليك أن تقوم بتشريح جثة مارك قبل أن تدس ادارة الضرائب أنفها فى معدته .

البروفسور : لقد حرر الطبيب الشرعى تصريحا بالدفن .

الأرملة : لعله لم يكن يحزر أن مارك قد يكون فى أمعائه الدقيقة جوهرة .. كم كان يكلفنى اجراء هذا التشريح ؟

البروفسور : حوالى ٢٠٫٠٠٠ فرنك .

الأرملة : ها أنت ترى .. — ٢٠٫٠٠٠ فرنك فى سبيل استرداد مليونين .

(يدخل لودوفيك ومعه علبة) .

لودوفيك : سيدى الرئيس ، هذا كل ما وجد فى غرفة مسيو ليون بعد وفاته .

البروفسور : شكرا ، ضعها هناك .

(يخرج لودوفيك ، وتنحنى مدام ليون فوق العلبة التى يفتحها البروفسور) .

البروفسور : فلننظر قليلا .. ها هى فرشاة أسنانه (يخرج فرشاة لشطف الزجاجات) ، وها هى قطعة صابون ، حفر فيها حفرا بارزا .

الأرملة : وماذا يمثل هذا الحفر ؟

البروفسور : هذى حواء تصنع آدم وتقول له « لست من تظن .. » ، وهذا عقد من سدادات القوارير ، آه ! وهذا نفير ، أعطاه اياه المرض ليتلهى به .. آه ! وهذى آخر دجاجاته المصنوعة من ورق ، حفظها بعناية كبيرة قبل أن يموت .

الأرملة : (غضبى) أهذا كل ما تركه لى .. دجاجة من ورق .. ونفير .. ومع هذا كله وصية بلهاء .. (تفتش فى الصندوق وهى مهتاجة) : ما هذا ؟

(تخرج شعرا مستعارا قديما) .

البروفسور : هذا هو الشعر الذى كان يلبسه ليبدو فى مظهر فنان قدير حين كان يمثل « التونكينواز الصغيرة » .

الأرملة : وفى تلك الأثناء اختفى الخاتم ، ولعله قد دفنه فى الحديقة ..

البروفسور : أصرح لك بأن تقومى بالحفـــر ، على نفقتك بالطبع .

الأرملة : آه ، كلا ، شكرا .. كفانى مصـــاريف بهذا الشكل ! ..

(تخاطب البروفسور فى دلال) وبهذه المناسبة ، يا عزيزى الدكتور ، أطلعنى موثق العقود ، فى ملف الارث ، على كشف حسابك الأخـــير ، ويبلغ قدره ..

البروفسور : ٤٥ر٠٠٠ فرنك بالضبط ، حساب العيـــادة ، يضاف اليها ٤٧ر٥٠٠ فرنك مصاريف نقل الجثة الى المقابر .. وها هى ذى فضـــلا عن ذلك ، فاتورة مكتب الحانوتى ..

الأرملة : (تضع المونوكل ذا اليد على عينها) ٤٧ر٥٠٠ فرنك .. يا لها من ضربة قاضية !

البروفسور : كلا ، لقد كان موكب الجنـــازة من الدرجة الثالثة .. كما أراد موثق العقود .

الأرملة : طبعا ، ولابد أنه تسلم عشر ورقات مالية من تحت النعش .

البروفسور : فيكون المجموع ٩٢ر٥٠٠ فرنك .

الأرملة : (تتخذ وضعا جذابا ، كاشفة ساقيها للبروفسور دون مبالاة) ٩٢٫٥٠٠ .. يا الهى .. انها فاتورة باهظة !

البروفسور : للأسف يا سيدتى .. عندنا مصاريف ..

الأرملة : قل لى يا دكتور ، هل أنت متزوج ؟

البروفسور : كلا يا سيدتى .. آنا أعزب . ولم السؤال ؟

الأرملة : (تتدلل) لو كانت لك زوجة ، كنت أرثى لحالها (ترفع ثوبها فوق ساقيها ؛ أعلى من ذى قبل) : ان الطبيب فيه الكثير من الاغراء .

البروفسور : (يدير رأسه حتى لا يرى) أوه ! الانسان يعتاد المخاطر .

الأرملة : (تزداد دلالا واغراء) قل لى ، يا طبيبى الصغير .. بخصوص تلك الفاتورة ..

البروفسور : نعم .. ٩٢٫٥٠٠ ..

الأرملة : هذا صحيح .. هلا تعمل لى تخفيضا ؟

البروفسور : أوه ! مستحيل (يلعب بالشعر المستعار الخاص بالمجنون) هذا المبلغ محسوب بأقل ما يمكن ..

الأرملة : (تتنهد) لقد كلفنى موت زوجى مصاريف باهظة .. اذ كان لابد لى أن أرتدى ثياب

الحداد .. فى كازابلانكا .. وكان عندى ثلاثة أثواب فاتحة اللون بديعة ، لما بعد الظهر .. وثوب أبيض لذيذ للمساء فضاع علىّ كل ذلك .. وانظر يا دكتور .. جواربى .. ستة أزواج من النيلون الأسود ، مثل هذا .. انه خراب .. (تكشف ساقيها للطبيب) .

البروفسور : هذا واضح .. وفيما يختص بمصاريف العيادة ، قد أستطيع أن أمنحك مهلة ، ولكن مكتب الحانوتى ، لابد أن ندفع له فورا .

الأرملة : ١٥٫٠٠٠ يا دكتور ، هذا كل ما يمكنى دفعه فى الوقت الحاضر .

البروفسور : ربما ٢٥٫٠٠٠ ؟

الأرملة : (تقترب منه لتخلب لبه) اسمع .. هل تتفضل بالمجىء الى منزلى لتناول الشاى فى مساء الغد ؟ سوف يتسع أمامنا الوقت للمناقشة .

البروفسور : أوه ! مساء الغد فى منزلك ! هل تستقبلين فى دارك أصدقاء ؟

الأرملة : كلا ، سوف نكون وحدنا .. اننى أقطن فى المنزل رقم ٢٢ شارع كوسوتورى .

البروفسور : (جرس التليفون) آلو .. ماذا ؟ كلا .. كلا .. أعطه فقط بعض الاتير يستنشقه .. انتظرنى .. معذرة يا سيدتى .. انه مريض ..

الأرملة : تفضل يا دكتور .. تفضل ..

(يخرج ماراكس من باب المكتبة ، وتبقى مدام مارك ليون وحدها بضع لحظات ، يقرع بعضهم الباب المقابل) .

الأرملة : أدخل ! .. (يستمر القرع) أدخل ! ..

(يدخل المجنون ويخاطب شخصا وهميا لا وجود له على المسرح) .

المجنون : سوف أفحصك فى التو واللحظة .. الأمـــر بسيط ..

(يدخل مسرعا ويذهب فينتزع الترمومتر الذى استعمله قبلا مع لودوفيك) .

(مدام مارك ليون ، تتأمـــل وجهها فى المرآة ، وهى أبعد ما تكون من أن تفكـر فى زوجها المتوفى) .

(يمر المجنـون خلفها ويمضى ليتناول المطرقة من فوق المكتب) .

(وعلى حين غرة تتفرس مدام مارك ليون فى وجهه وتبدو كأنها لا تدرى ان كانت فى حلم أو فى يقظة) .

(يحـاول المجنون ، كما فعل قبلا ، أن يدق المطرقة على رأسها ، ويهز الترمومتر ، كما لو كان ترمومترا طبيا . ثم يتوقف فجأة أمام الصندوق الذى يضم الأشياء التى وجـدت فى غرفتـه . يخـرج الدجاجة الورقية والنفير ، ويضـحك ساخرا ، ثم ينفخ قليلا فى النفير) .

المجنون : من ذاك الأبله المسكين الذى كان يلهـو بهذا الشىء ؟ ها ..

(مدام مارك ليون وقد سمعت صـوته ، ترتجف فجـأة على كرسـيها ، وتخرج المنظار ذا اليـد من حقيبتها ، وتفحص المجنون بيد ترتعد) .

المجنون : (وقد عثر على الشعر المستعار) ما هذا ؟

(يضـع الشـعر المسـتعار مقلوبا فوق رأسـه) .

الأرملة : (تتراجع مفزوعة) يا الهى .. أوه ! يا الهى .. ها أنذى وقد أصابتنى لوثة فى عقـلى .. يا دكتور ! .. يا دكتور ! ..

المجنون : (يتأمل وجهه فى البارومتر ، كما لو كان مرآة — يستدير فجأة) هناك من ينادى الطبيب ؟ ها أنذا ! .. ها أنذا ! ..

الأرملة : (تمد يديها أمامها وكأنها تطرد تلك الرؤيا) يا ربى .. أيها المسيح الرؤوف .. هذا شبحه !..

المجنون : (تبـــدو على وجهه سمة الالهام ، مثلما بدت چان دارك وهى تستمع الى الأصوات ..) : هذا عجيب جدا .. اننى أسمع صوت كليمانتين ، من أين يأتى هذا الصوت ؟

(يفتح أدراج المكتب وينادى فى كل درج). هل أنت هنا يا كليمانتين ؟

الأرملة : الرحمة .. ان الشبح يناديني !

المجنون : (يغلق الدرج الأخير ، فيزنق طرف رباط رقبته الأسود فى الدرج المغلق ، ويشد الرباط عـــلى رقبته ، ويقيد حركته ، فيحاول التخلص) آه ، أرجـــوك يا كليمانتين .. خلصينى .. هيا .. أنقذينى .. (يتخلص) .

الأرملة : (تزمجر) انه أنت يا مـــارك .. هـــو أنت .. أجل ! .. الخاتم .. الخاتم .. الشبح ومعـــه خاتمه ! ..

المجنون : (متجها نحـــوها ومعه المطرقة) ماذا تطلب سيدتى ؟

الأرملة : النجدة ! .. النجدة ! ..

المجنون : (يطاردها فى أرجاء المكتب) لا تخافى ! .. لقد شفيت مسيو لودوڤيك .. سأجس نبضك .

(يلقى بنفسه على عرقوبها ويجسه) .

الأرملة : (مذعورة) آه .. انى هالكة ! ..

(يدخل لودڤيك فى هذه اللحظة ، ويتلقى بين ذراعيه مدام مارك ليون التى يغمى عليها) .

لودوڤيك : ما هذا ؟

المجنون : أوه ، لا شىء .. حالة حمل مع اضطراب فى الأعصاب .. ارفع الثور !

(لودوڤيك والمجنون يحملان مدام مارك ليون) .

(يدخل البروفسور ماراكس من الباب الآخر ومعه الغانية) .

الغانية : سيدى البروفسور ، هل أنت على علم كاف بكل ما يجرى هنا ؟

البروفسور : أعتقد ذلك ، حتى الآن .

الغانية : اصغ الىّ ؛ لقد تفضلت وأذنت لى أن أعاونك فى هذا المكان بصفة ممرضة ، طالما كنت فى نفس الوقت مريضة .

البروفسور : وانني ممتن لك لاخلاصك المثالى .

الغانيـة : لم أكن أرجو بعمـــــلى شكرا يا ســـيدى البروفسور .. انما أود أن أقول لك ان أعمال وظيفتى قد أتاحت لى أن ألاحظ بعض الأحداث التى أرى من واجبى أن أخطرك بها (يشير لها البروفسور بمقعد) . هل أنت واثق من أن مدام تيسيلون تنفذ أوامرك الطبية ؟

البروفسور : انها لم تتخلف عن أية جلسة من جلسات العلاج بالكهرباء .

الغانيـة : أجل ، ولكنى منذ عشرة أيام بالضبط ، وفى حوالى الساعة الحادية عشرة مســاء ، كنت جالسة أمام النافذة ، وكانت غرفتى مظلمة ، فرأيت مدام تيسيلون تخرج من جناحها وتتوغل فى الحديقة ..

البروفسور : (مذهولا) للتنزه ؟

الغانيـة : الأمر أسوأ من ذلك يا سيدى البروفسور . ان مدام تيسيلون تخرج فى كل ليلة ، منذ ثمانية أيام ، وتعود فى حـــــوالى الساعة الخامسة صباحا .. ولما كانت تقيم فى الطابق الأرضى ،

فانه من السهل عليها أن تمر خلال النافذة دون أن ينتبه اليها لودوفيك .

البروفسور : ولكن هل أنت واثقة .. حقا واثقة أن ..

الغانيـــة : لم أك أسهر كل ليلة لأراقبها ، ولكن سلوكها هذا دفعنى الى أن أقوم بتفتيش غرفتها . واليك ما عثرت عليه (تعرض بطاقة صغيرة تخرجها من جيب قميصها) ، هذه مذكرة يومية حررتها .

البروفسور : أرينى .. (يتناول البطاقة ويتصفحها) هذا خط يدها ، فانى أعرفه .

الغانيـــة : لا شك فى ذلك .. اقرأ ..

البروفسور : (يقرأ بصوت خفيض) الثلاثاء .. لقد اقترب منى فى الطريق هذا المساء .. انه جميـــل ، وأشقر ، فى الثانية والعشرين من عمره .. وسرنا معـــا ..

(ينظر الى الغانية) : هذا عجيب .

الغانيـــة : اقرأ البقية .

البروفسور : (يقلب الصفحة) الأربعاء .. عدت الى غرفتى مع طلوع الفجر . وقد أراد الفتى الأشقر أن يرافقنى ، ولكنى منعته من ذلك .. فارتبـــك

كثيرا .. وهذا أمر يسلينى .. الخميس : أمطرت السماء هذا المساء ، فاعتصمت من المطر فى منزل رجل أحمر شعر الرأس ، وكان جريئا للغاية . وعند عودتى كنت متخوفة لأن لودوفيك كاد يرانى .. الأحد ..

الفانيـة : اقرأ هذا جيدا .

البروفسور : (يطالع) الأحد .. يا لها من مغامرة ! قابلنى فى الطريق ذلك الرجل الأسود الشعر ، وسألنى وجهتى . ان له عينين خضراوين وصوتا عميقا ، فقلت له اننى أتنزه من غير هدف ، فأخـذنى الى قصره ولست آسفة عـلى أن تبعته الى هناك .. وسوف أذهب لرؤيته ثانية هذا المساء . ان هذا الرجل الغريب يخلب لبى .

الفانيـة : هذا يفسر لك أمورا كثيرة .

البروفسور : (مفكرا) فى الليلة الأولى ؛ صحبها رجـل أشقر مجهول ، وأمضت الليلة الثانية مع رجل أحمر الشعر ، والليلة الثالثة مع رجل أسـود الشعر .. (يدق الجرس) : أرجو أن تلحقى

بأصدقائك ، وأرجوك على الأخص ألا تقولى شيئا .

الفانيـة : أعدك بذلك يا سيدى البروفسور .

البروفسور : لقد وعدت ! ولا كلمة لمخلوق !

الفانيـة : اعتمد علىّ . (تخرج) .

(ويبقى البروفسور وحده . يتناول المذكرة ويقرأ بصوت خافت) :

وصاحب القصر هذا يملك مجموعة لا مثيل لهـا . . (يقلب الصفحة) وكان ضوء القمر يسطع فينير الحديقة .. اننى عاشقة حتى الجنون . . (قرع على الباب) ادخل !

لودوفيك : (يدخل منفعلا جدا) سيدى البروفسور ! سيدى البروفسور ! عثر « الفريد » لتوه ، فى صندوق البريد ، على خطابين ، أحدهما مرسل اليك ، والثانى الى مسيو كاردان .. وليس عليهما طوابع . أنظر .

البروفسور : (يتناول الخطابين) أرنى .. الخط خطها (يطالع بصوت خافت) « عزيزى الدكتور . اننى أجد نفسى فى صحة رائعة ، لدرجة أننى لا أريد

العودة الى العيادة ، ففيها أشعر بالضيق والملل . وسيمر بعضهم على العيادة ، فى ذات يوم ، فيستلم حاجياتى ، ويدفع حسابى . وأكرر لك الشكر . مدام تيسيلون » .

لودوفيك : والخطاب الآخر موجه الى مسيو كاردان ..

البروفسور : لابد أن أعلم ما به .. (يفتح الظرف بحرص ويطالع الخطاب) : « حبيبى .. اننى لم أعد أحتمل تلك العيادة . لا تشغل بالك ، سوف أخطرك بعد قليل بالمكان الذى تكتب لى اليه . أقبلك » . (مضطربا) : لودوفيك ! انهـا هربت . هذا شىء فظيع ! .. لابد من العثور عليها بأى ثمن واعادتها .. أخـرج عربتى ، وسوف تأتى معى .. وسأعيدها مهما كلفنى الأمر ! (يخرج مسرعا مع لودوفيك) ان حياتها فى خطر !

(تنزل الستارة)

الفصل الثالث

(صالون فى قصر الثرى ، فى الدور الأرضى لقصر مشيد فى غابة سان چرمان ، فى عزلة شديدة . الأثاث غير مألوف ، شاذ وغريب ، يضم أقنعة صينية ودمى أفريقية عابسة الوجه ، وسيوف سامورية ، وأدوات تعذيب .. الخ . الساعة العاشرة مساء .

وعندما ترتفع الستارة ، يتحدث صاحب القصر فى التليفون . ونراه يرتدى روب دوشامبر أسود . ويبدو على وجهه سمات الجزع والقلق . وفى ركن الصالون ، أمام الأريكة ، منضدة واطئة .. عليها « جردل » الشمبانيا وكوبتان ، وبعض السجائر والأزهار .)

صاحب القصر : (يضحك بسخرية فى التليفون) ها ! ها ! .. كلا يا عزيزى ، ليس هناك ما يمكن عمله .. كلا ، لن أذهب الى باريس هذا المساء (ينصت) لماذا ؟ .. لأن عندى فى المنزل ما لا تستطيع أنت أن تقدمه لى فى ملاهيك الليلية .. تماما .. المغامرة الكبرى .. (ينصت) أقول لك اننى أغوص فى بحر عميق من الأسرار .. تصور أننى عدت من المسرح وحدى فى مساء الثلاثاء

فى سيارة .. وقابلت فى الطريق امرأة كانت هى الأخـرى وحيدة .. وتوقفت .. وتحادثنا .. وكنت أظن أنها كانت فى سيارة تعطلت بها فى الطريق .. ولم يكن الأمر كذلك ، فقـد كانت تتريض على قدميها فى الغابة .. تقول هل هى جميلة ؟ نعم يا عزيزى .. واقترحت عليها بطبيعة الحال أن تأتى معى لتشرب كوبا من الشمپانيا ، ولكنها بدلا من أن ترفض دعوتى فانها استجابت لها .. ولم تغادر منزلى الا مع بزوغ الفجر .. ماذا ؟ .. كم ؟ .. ولكنك مخطىء يا صـديقى العزيز .. لم تكن مومسا بالمرة .. انها امـرأة راقية وجذابة .. (ينصت) وبعد ذلك ؟ حسن ، لقد وعدتنى بالعودة هذا المساء . وعلى ذلك فسوف أستقبل ثانية تلك المرأة ، وأنا لا أعرفها ، ولا أعرف من أين تأتى .. ماذا ؟ .. لا ، لا لست روميو الذى ينتظر چولييت ، بل النمر الذى يترصد الغزال .. نعم ، سوف أروى لك باقى القصة فيما بعد .. وسوف لا تخسر شـيئا اذا انتظرت .. طابت ليلتك أيها العزيز .. (يعيـد السماعة) .

(يفحص الصالون ، كما يفحصه أى رجل ينتظر امرأة بفروغ صبر . يشم الأزهار الموضوعة على المنضدة ، ويعيد قناعا قبيحا الى مكانه . ثم ينصت ، وكأنه سمع انسانا فى الحديقة ـ يرن التليفون) .

صاحب القصر : (فى التليفون) آلو .. ماذا ؟ .. فريدريك .. قلت لك من قبل اننى لا أنتظر أحدا هنا سوى تلك السيدة التى تعرفها .. ماذا ؟ (ينصت) ثم ماذا ؟ لِمَ لم تقل لهم اننى خرجت ؟ .. من ؟ .. البروفسور ماراكس ؟ آه ! ذاك الذى عنده عيادة سان جرمانْ ؟ .. ايه ! حسن ، أبلغه أنى لا أستطيع أن أمنحه من وقتى سوى بضع دقائق (يعيد السماعة) .

(يشعل سيجارة بحركة تفصح عن تعب واجهاد ، ويذرع الصالون طولا وعرضا . تسمع أصوات ، من بينها صوت فريدريك .

تفضل من هنا ، يا دكتور .

(البروفسور ماراكس ولودفيك يدخلان) .

البروفسور : سيدى أرجو المعذرة ، اذا كنت قد ضايقتك فى مثل هذا الوقت المتأخر .

صاحب القصر : هل لى شرف التحدث مع الدكتور ماراكس ؟

البروفسور : نعم ، يا سيدى .. وهذا رئيس المرضين .. أنت مسيو ستاريتز صاحب هذا القصر ؟

صاحب القصر : أجل . يؤسفنى ألا أستطيع أن أمنحك من وقتى سوى بضع لحظات . ولكنك تدرك أتنى فى مثل هذه الساعة المتأخرة ..

البروفسور : فاهم .. ألف معذرة . ثم اننا لم نسمح لأنفسنا بتعكير صفوك الا لأمر خطير يبرر تصرفنا هذا .

صاحب القصر : تفضل يا دكتور بالجلوس . ما الأمر ؟

البروفسور : أوه ! ليس لى الا أن ألقى عليك سؤالا بسيطا .. ألم تقابل ، عن طريق الصدفة ، هذا العصر ، أو هذا المساء ، فى جوار دارك هـذا شخصا يعالج فى عيادتى ؟

صاحب القصر : رجل هو ؟

البروفسور : بل امرأة .

صاحب القصر : كلا (بتهكم) : ليس من عادة مرضاك المجانين أن يأتوا ويلعبوا « الاستغماية » فى حديقة قصرى .

البروفسور : هى امرأة طويلة ، أنيقة ، ترتدى ثوبا أسود .

صاحب القصر : وفيم اهتمامى بأفعال وحركات امـرأة طويلة وأنيقة ومتشحة بالسواد ؟

البروفسور : لقد هربت .

صاحب القصر : (ساخرا) أهكذا تتراخى فى حراستهم ! سوف يرتعد جيرانك خوفا فى منازلهم .

البروفسور : ان ما يأتيـه مرضاى من تصرفات لا يتوقعها أحد . وعيادتى ليست سجنا . أما المرأة التى اختفت فانها تعالج عندى ، بيـد أنى لست مسئولا عن علاجها اذا ما تملصت من علاجى .

صاحب القصر : آسف لذلك كل الأسف يا دكتـور ، ولكنى أجهل ما صارت اليه مريضتك . ولم أرهـا البتة .

البروفسور : هل قرارك هذا نهائى لا رجعة فيه ؟

صاحب القصر : أجل ، انه نهائى .

البروفسور : (يأتى بحركة يائسة) وعلى ذلك فان حديثنا كان غير ذى موضوع .

صاحب القصر : نعم ، مع الأسف .

البروفسور : (ينهض ، وعند مروره يتوقف أمام الدمى)

لم يبق لى سوى أن أكرر الاعتذار . ولك أن تعتبر هـــذه الزيارة من قبيل الزيارات التى يتبادلها الجيران الطيبون .

صاحب القصر : الطبيب ينزل دائمـــا على الرحب والسعة فالصحة شيء لا يمكن أن يطمئن اليه الانسان .

البروفسور : لديك هنا دمى نادرة .

صاحب القصر : أليس كذلك ؟

البروفسور : يا لها من وجوه بشعة تتقزز منها النفس !

صاحب القصر : حين تصل البشاعة الى مثل هذه الدرجة فانها تصبح روعة .

(يتناول صـاحب القصر قنـاعا ليريه لماراكس ، فى حين يتأمل لودوڤيك المنضدة الموضـوعة فى ركن الغرفة وعليها وجبة عشـــاء لشخصين . يدفع بحرص كوع ماراكس ويرميـــه بنظرة تنبهـه الى ما كشفه) .

البروفسور : هاك ! عندك أيضا سوط تتارى .

صاحب القصر : هو على الأصح مغولى .

البروفسور : أتعرف كيف تستعمله ؟

صاحب القصر : تعلمت استعماله هناك ، فى آسيا ..

البروفسور : هذا متحف حقيقى فى دارك يا مسيو ستارينز .

صاحب القصر : أوه ، انها بضعة تذكارات لرحلات قمت بها فى الشرق .

البروفسور : مدى وسيوف وخناجر وبطقانات .. لديك ما يكفى لتسليح كل جلادى العالم . وهذه الكماشة ؟

صاحب القصر : من آثار ديوان التفتيش الاسبانى .

البروفسور : وهذا القمع ؟

صاحب القصر : انه أداة تعذيب بالماء فى القرن السادس عشر .

البروفسور : وما هذا ؟

(يرفع حبلا ملفوفا) .

صاحب القصر : حبل المشنقة .. لندن عام ١٧٥٠ .

البروفسور : هل هو يجلب لك الحظ السعيد ؟

صاحب القصر : كلا ؛ بل يلهمنى .

البروفسور : (يستدير ويشير الى العشاء المجهز) أوه ! ولكنك تنتظر شخصا ما ، سنتركك يا سيدى فى الحال .

صاحب القصر : سيأتى صديق لزيارتى هذا المساء .

(يرن التليفون) .

صاحب القصر : (فى الجهاز) آلو ، نعم .. ما هذا ؟ لا .. لا .. سوف أختاره بنفسى .. (الى ماراكس) : لحظة واحدة يا دكتور .

البروفسور : تفضل .

(يخرج صاحب القصر) .

لودوڤيك : (بصوت خافت) أيها الرئيس .. لقد رأيت هذا .. أزهارا لصديقة !

البروفسور : اننا نتبع الأثر الصحيح ، يا لودوڤيك ، لابد من مراقبة منزله .

لودوڤيك : ومن أية ناحية ؟

البروفسور : عندما تخرج ، أقم نفسك على الطريق الكبير فى مواجهة السور . أما أنا فسوف أدخل فى الحديقة من هذا الجانب (يشير الى الباب الزجاجى) .

لودوڤيك : ما رأيك فى هذا الرجل ؟

البروفسور : انه خطر . ولكنى أحتفظ لنفسى بنتيجة تشخيصى له .

لودوڤيك : (يشير الى الدمى) هنا أشياء تسبب الأحلام المزعجة .

(يمشى بحذر ويفتح بابا الى اليمين) .

البروفسور : (بصوت خافت) انتبه يا لودوڤيك ..

لودوڤيك : (يفتح الباب السالف الذكر ببطء شديد ، ويتراجع فجأة) أوه !

البروفسور : ما الأمر ؟

لودوڤيك : (ضاحكا) ان أعصابى ، لحسن حظى ، متينة .. ما هذا ؟

البروفسور : (يقترب وينظر) .. هذا خازوق ..

لودوڤيك : انه يشبه آلة لف الأسياخ .

البروفسور : كان الأتراك يستعملون هذا الشيء فى سالف الزمان .. أغلق بسرعة يا لودوڤيك .

لودوڤيك : (مطيعا) هذا الشيء خطر .. قل لى أيها الرئيس ، ماذا ترى فى ذلك ؟ .. فى كل هذا ؟ ..

(يشير الى الأسلحة والى الباب)

البروفسور : انه من جامعى التحف ، وسوف ينتهى أمره يوما فى عيادتى (ينصت) انتبه ! ..

(يعودان الى مكانهما) .

(يظهر صاحب القصر ثانية ومعه زجاجة شمبانيا يضعها فى الدلو)

البروفسور : نشكر لك يا مسيو ستاريتز تفضلك بمقابلتنا .

صاحب القصر : عفوا .. آسف لعدم استطاعتى افادتكما بشىء

(ينادى) فريدريك .. أوصل هذين السيدين .

البروفسور : (محييا) طابت ليلتك يا سيدى .

صاحب القصر : وليلتكم يا سادتى .

(يخرج ماراكس ولودوفيك ، ويبقى صاحب القصر وحده بضع لحظات ــ يستلقى ويتمدد على الأريكة ، ويدير جهاز الراديو القريب منه ، تسمع موسيقى « فى ضوء القمر » من لحن ديبوسى .

(وحينئذ يظهر شبح يمر أمام الباب الزجاجى ، وتهب نسمة فجائية تحرك الستائر ، وينفتح باب الشرفة ببطىء وتدخل سيدة المجتمع ، مدام تيسيلون فى هدوء . تتقدم على أطراف قدميها نحو الأريكة دون أن يراها صاحب القصر . تضع كلتا يديها على جبهة مضيفها الذى يختلج من ملمس يديها) .

سيدة المجتمع : من أنا ؟

صاحب القصر : المرأة المجهولة .

السيدة : بأى شىء عرفتنى ؟

صاحب القصر : بالنسمة الباردة التى تتقدمك .. والتى تضايقنى .

السيدة : لقد أسرعت فى الحضور اليك .. سرعة جنونية

صاحب القصر : وعليه ، فأنت لا تخشين أى خطر ؟

السيدة : لا خطر بعد أن أدخل هذا المنزل .

صاحب القصر : (ناهضا) ألا تخيفك أصنامى ؟

السيدة : (تذهب وتداعب القنـاع الصـينى العابس) أصنامك تبتسم فى وجهى ، وانها لأحلى عندى من الآدميين (تدغدغ بطرف اصبعها لحية دمية قبيحة مخيفة) أنظر هذا ، كم هو جميل!.. لعلنى كنت أعبد هذا الساحر وقت أن كان حيا يرزق.. ان جمـال جسم الرجل بضاعة زائفة .. وان شخصية قوية لأفضل من أنف أقنى جميـل . وأنت ، انى أحبك لأنك غير جميل (تلعب الآن بالمدية) .

صاحب القصر : لا تلعبى بهذه .. لقد قتلت هذه المدية كثيرا من الناس فى فلورنسا فى سالف الزمان .

السيدة : (تخفى المدية وراء ظهرها لتغيظه) وماذا اذن ؟ ان أجود القدور هى تلك التى قضت أطول وقت على النار .

صاحب القصر : أعطنى هذه .

السيدة : ولماذا ؟

صاحب القصر : أنا الشخص الوحيد الذى له الحق أن يلمس هذه الأشياء .

السيدة : ألا تعيرنى لعبك هذه ؟

صاحب القصر : (وقد عيل صبره) أعطنى هذه .

السيدة : (متدللة) اعطيك وتعطينى..مديتك فى نظير قبلة.

صاحب القصر : (يحتضنها فجأة ، ويقبل شفتيها ، ويلوى ذراعها ليجبرها على ارخاء قبضة يدها ، فتسقط المدية . يدفع عنه المرأة ، ويمرر يده على فمه) شفتاك مثلجتان .

السيدة : (تدلك معصميها) أوه ! لقد أوجعتنى !

صاحب القصر : أنا الوحيد هنا الذى يفرض شروطه .

السيدة : أنت قاس .

صاحب القصر : اذا كنت تفضلين النعاج ، فانصرفى ..

السيدة : سأبقى .

صاحب القصر : تعالى واشربى شمپانيا ..

السيدة : لست عطشى ، وأفضل أن أتفرج على متحفك .. هذه كتب لم أرها مساء أمس (تتناول كتابا بجلدة بيضاء) أوه ! .. يا له من جلد غريب ..

(تتحسسه) هذا الجلد ناعم الملمس كبشرة امرأة .

صاحب القصر : وانه كذلك .

السيدة : (تترك الكتاب بسرعة) ماذا ؟

صاحب القصر : أكرر لك قولى : هذا جلد امرأة ، قمت بدبغه .

السيدة : أوه !

صاحب القصر : امرأة من شارع دولاشاپيل .

السيدة : (قلقة) هل كنت تعرفها ؟ تلك المرأة ؟ (تشير الى الكتاب) .

صاحب القصر : بالتأكيد ، كنت عشيقها .

السيدة : (مخلوبة اللب على الرغم منها) احك ..

صاحب القصر : ليس فى الأمر ما يحكى ؛ لقد أحببتها خلال بضعة شهور .

السيدة : وبعد ؟

صاحب القصر : ثم ماتت .. طعنها بالخنجر أحد الشبان من بيئتها . أنظرى ، ها هى الندبة ، مكان الطعنة .

السيدة : انى أصدقك (تدير رأسها) .

صاحب القصر : (يرغمها على النظر الى الكتاب عن قرب)

ترين .. تلك العروة الحمراء .. فى الظهر .. بين عظمتى اللوح ..

السيدة : نعم أراها ..

صاحب القصر : قبل أن يحملوا « ارما » العظيمة الى المقبرة ، حصلت على قطعة من جلدها بمساعدة طالب يدرس الطب .. وبتلك القطعة جلدت هـذا الكتاب ، لتمجيد ذكرى تلك التى أحببتها ..

السيدة : وما هذا الكتاب ؟

صاحب القصر : قصة « الرجل الضاحك » .. وفى كل مرة أطالع فيها عملا من أعمال « ڤيكتور هوجو » ، أتذكر تلك الحبيبة وأفكر فيها .. هيا ، تعالى واجلسى هنا .. هل أنت جوعانة ، أم عطشى ؟

السيدة : كلا ، شكرا ! (تجلس وتنظر اليه كما لو كانت منومة مغناطيسيا) لست عطشى الا لقبلاتك .

صاحب القصر : أما أنا ، فأشرب فى صحة المرأة المجهولة .. التى تأتى لتكدر صفاء عيشى فى وحدتى .

السيدة : أغاضب منى لهذه الدرجة بسبب جرأتى ؟

صاحب القصر : نعم .

السيدة : ألن تصفح عنى أبدا لجرأتى هذه ؟

صاحب القصر : بلى ، ولكن على شرط واحد .

السيدة : وما هو ؟

صاحب القصر : أن تطيعينى طاعة تامة عمياء .

السيدة : (تركع بالقرب منه ومرفقاها على ركبتيه) مر وسوف ترى .

صاحب القصر : وأنا أنذرك بأنى سوف أطردك اذا شققت عصا الطاعة .

السيدة : اختبرنى .

صاحب القصر : قولى لى أولا اسمك . لقد رفضت اجابة هذا الطلب فى الليلة الماضية . والآن ارفعى الحجاب عن شخصك ! هذه ارادتى .

السيدة : لم أعد أعرف اسمى .

صاحب القصر : ولكنى أريد أن أعرفه .

السيدة : أقول لك انى أجهله . أمن الضرورى أن تكون لجاريتك بطاقة شخصية ؟

صاحب القصر : (يدفعها عنه وينهض) آه ! انك تغيظيننى .. ما معنى هذه التكتمات المضحكة ، تكتمات فتاة خجلة ، هل أنت متزوجة ؟ هل تخشين الفضيحة ؟

السيدة : لم أعد أعرف ما اذا كان لى زوج .

صاحب القصر : هل أنت أرملة ، أم مطلقة ؟

السيدة : اننى أتساءل عن ذلك .

صاحب القصر : (يدق قدميه) هل ستستمر هذه اللعبة الصغيرة مدة طويلة ؟ ما هو اسمك الأول ؟

السيدة : اننى أبحث عنه كل يوم فى التقويم .

صاحب القصر : أتريدين أم لا تريدين أن تحدثينى عن ماضيك ؟

السيدة : كم أود ذلك ، ولكن ليس لى ماض .

صاحب القصر : دعك من هذا .. كل منا له ماض . ان ماضى المرأة على الأخص حلم مطرز على نسيج من الأوهام .. هيا ، اعترفى لى ..

السيدة : أرى ذاكرتى هاوية بعيـــدة الغور تسبب لى الدوار .

صاحب القصر : آه ! لا تمثلى أمامى مهزلة فقد الذاكرة .

السيدة : ومع ذلك فهى الحقيقة .

صاحب القصر : من أين كنت آتية حين قابلتك أمس وحـــدك فى الطريق ؟

السيدة : أما هذا ، فهو سرى .

صاحب القصر : اذن فأنت تذكرينه .

السيدة : تقتضينى الفطنة أن أسكت عنه .

صاحب القصر : هل تقيمين بهذه المنطقة ؟

السيدة : لم أعد أعرف أين أقيم .

صاحب القصر : أين ذهبت حين غادرتينى فى فجر الليلة الماضية ؟

السيدة : الأفضل ألا أجيب على ذلك (متملقة) يا حبيبى.. لماذا تصر على معرفة كل شيء ؟ .. هأنذا .. كنت أريد أن أراك ثانيـــة .. اننى ملك يديك .. ولم أستطع أن أقاوم الرغبة التى تلح علىّ فى أن أعود الى أحضانك .

صاحب القصر : (يتأملها فى هدوء كما لو كان يحاول سبر أغوارها وكشف سرها) ما أن تدخلى هـذا المنزل ، حتى أشعر بالبرد .. (ينهض ويذهب الى المـــدفأة ويضع فيها قطعة من حطب) ، ألا تشعرين بأنك تبعثين البرودة فى الجـــو حولك ؟

السيدة : كلا ! اننى أشعر بالدفء .. أنظر كم أنا دافئة (تمد له ذراعيها العاريتين) .

صاحب القصر : (يلمس ذراعيهـــا) ان جلدك مثلج (يتركها فجأة) .. اننى حين ألمسك ، أعتقد أننى ألمس

حجرا باردا .. يبتعد عنها ، ويلحظها باتفعال غريب ، وانزعاج يشتدان بالتدريج .

السيدة : (تجس ساعديها) لا أجد نفسى باردة ، يا حبيبى .. استمع الى دقات قلبى .. انه يدق بسرعة كبيرة .. بسببك .

صاحب القصر : (ينحنى نحو جيدها) وجيدك هو الآخر بارد .

السيدة : وما أهمية ذلك ، ما دمت أحبك .. وما دامت دمائى تضطرم فى شرايينى فتلهبها بمجرد أن تمسنى .

صاحب القصر : هذا غير صحيح . لابد أن دمك أيضا مثلج (يمسكها من معصميها ويهزها بشدة) **من أين** أتيت ؟ (يجأر) بحق الله ، ألا تقولين لى من أين أتيت ؟

السيدة : أتيت الى دارك لاجئة . وسأبقى فيها طالما كنت تريد ذلك .

صاحب القصر : (شرسا) أتريدين البقاء ؟

السيدة : نعم .

صاحب القصر : خاضعة لرغباتى ؟

السيدة : مهما كانت .

صاحب القصر : حسن (يذهب الى نهاية الغرفة ويتناول حبل المشنقة) .

السيدة : (هادئة) ماذا تفعل هناك ؟

صاحب القصر : (يعود بالتالى وفى يده الحبل) قلت لك اننى سوف أختبرك .

السيدة : (مبتسمة) لست خائفة .

صاحب القصر : أعطنى معصميك .

السيدة : هاهما (تمد يديها اليه) .

صاحب القصر : ليس كذلك .. بل خلف ظهرك (يربط يديها خلف ظهرها) .

السيدة : لماذا تفعل ذلك ؟ ما دمت قد كررت لك القول بأنى أريد أن أبقى الى جوارك ؟

صاحب القصر : (الذى يشتد به الانفعال المتسبب عن القسوة الجنسية ، فيمسكها من شعرها ، ويدفع رأسها الى الخلف ، ويحدق فيها ؛ أريد أن أتحقق ما اذا كان دمك حارا .

السيدة : (كالمذهولة) حسن ! تحقق من ذلك . ماذا تنتظر ؟

(يميل على رقبتها ويعضها . فتتأوه ، ولكنها لا تشكو ولا تحتج ، ويسيل الدم على رقبتها ... يرن جرس التليفون) .

صاحب القصر : (يتركها ليتناول السماعة) آلو .. ماذا ؟ .. من يتكلم ؟ آه ، هـذا أنت ؟ .. (وقد عيـل صبره) يا دكتور ، لقد قلت لك كل ما أعرفه .. ماذا ؟ .. أتجرؤ على الادعاء بأن مريضتك فى منزلى .. انى لا أسمح لك بأن تشك فى أقوالى . ماذا ؟ أدعو مدام تيسيلون الى التليفون ؟ .. انى لا أعرف عمن تتكلم ، اننى ..

السيدة : (تقاطعه) من هذا ؟

صاحب القصر : طبيب ، انه يتخيل أننى أعرف واحـدة من مرضاه .

سيدة المجتمع : ما اسمه ؟

صاحب القصر : الدكتور ماراكس .

السيدة : دعنى أكلمه .

صاحب القصر : هل جننت ؟

السيدة : كلا ، هذا أفضل .. سأكلمه .

(تتقدم نحو التليفون ، ولما كانت موثقة اليدين ، فانها لا تستطيع أن تتنـاول السماعة التى يضعها صاحب القصر على أذنها) .

صاحب القصر : ماذا تريدين أن نقولى له ؟

السيدة : سترى (فى الســـــماعة) آلو .. البروفسور ماراكس .. نعـــم ، هى أنا .. أنا بنفسى .. ألا تعرف صوتى ؟ (تنصت) اسمعنى يا دكتور.. لقد أخطرتك بكتاب .. ان المريضة التى تشفى ، لها الحق كله أن تواصل علاجها بالطريقة التى تحلو لها . ان جو منزلك ثقيل على نفسى .. لقد نلت من علاجك ما فيه الكفاية . أرجـــو المعذرة .. اننى أخاطبك بكل حرية ، وأرجوك للمرة الأخيرة ألا تضايقنى أكثر من ذلك . كلا ، لن أنصرف ، كلا ، كلا ، ثم كلا !

صاحب القصر : (ينتزع منها السماعة) ســـيدى ، ان اجابتها كانت واضحة . كفى .. ماذا ؟ .. تهديدات ؟ .. أنا الذى سوف أطلب القبض عليك اذا تجرأت على التدخل ثانية .. ان المشعوذين من أمثالك خطر على المجتمع ! (يعيد السماعة فجأة ، ويخاطب السيدة) أتعرفينه حقيقة ؟

السيدة : نعم ، كان يعالجنى .

صاحب القصر : ولماذا ؟

السيدة : لفقدى الذاكرة .

صاحب القصر : أين ؟

السيدة : فى عيادته . لا أريد أن أعود اليها بعد الآن .

صاحب القصر : وأين تريدين الذهاب فى الوقت الحاضر ؟

السيدة : أريد أن أبقى فى منزلك . ألا تستبقينى عندك ؟

صاحب القصر : ألا تشعرين بالراحة هنا ؟

السيدة : بلى .

صاحب القصر : أتثقين بى ؟

السيدة : نعم ، لأنى أحبك .

صاحب القصر : انسى ذلك الرجل .. سوف أنتزعك من بين يديه .

السيدة : ألا ترى أنى لم أعد أريد الانصراف ؟ .. فك هذا الحبل .

صاحب القصر : ليس الآن ..

السيدة : حبيبى ، أرجوك ..

(يطفىء صاحب القصر الأنوار ، فلا يبقى منها الا ضوء المصباح الصغير الموضوع على المكتب ، الى جانب ضوء القمر الذى يسطع فى الحديقة . يذهب ببطء فيفتح الباب الأيسر للغرفة . ينبثق ضوء أخضر يصدم وجه المرأة فتتراجع) .

صاحب القصر : حسن ، أدخلى .

السيدة : هناك .. هناك !

(تشير الى شىء ما فى الغرفة)

صاحب القصر : ماذا دهاك ؟

السيدة : ماذاك التمثال المخيف القائم فوق السرير ؟

صاحب القصر : عجبا ! ألا تعرفين الالهة « كالى » الهندية ، الهة الموت والحرب ؟

السيدة : أو تنام فى كنف تلك الرأس المخيفة ؟

صاحب القصر : ولم لا ؟

السيدة : انها تخيفنى ، تلك الرأس ! .. انها أفظع من كل الرؤوس الأخرى .

صاحب القصر : (يمسك المرأة برقة من كتفيها) كلا .. أنظرى اليها .. أنظرى جيدا .. انها سوف تصبح شبيهتك .

السيدة : ماذا ؟

صاحب القصر : ألم تقولى لى انك لا تذكرين شيئا البتة ؟ .. لا تذكرين حتى اسمك ؟ حسن ، سوف أقوم بتعميدك تحت رعاية « كالى » .

السيدة : أتريد أن تختار لى اسما ؟

صاحب القصر : اسما هندوسيا جميلا . معناه « زهرة اللوتس الزرقاء » .

السيدة : اللوتس الزرقاء ؟

صاحب القصر : (يغمز بعينه ، ويشير الى الالهة من بعيد) نعم .. وحين يصير اسمك فى آخر الأمر « كالى » ، فان الالهة سوف تبدل «تكشيرتها» الوحشية بابتسامة مشرقة .. أتفهمين ؟ وسوف تأخذ بيدك وترشدك الى سواء السبيل . وترعاك ..

السيدة : (مسلوبة اللب على الرغم منها) أتعتقد ذلك ؟

صاحب القصر : سوف تصبحين وقتئذ جاريتنا المفضلة .. جارية الالهة ، وجاريتى .. أدخلى .. أدخلى فى الغرفة .. (يجذبها برفق) .

السيدة : حبيبى .. أنا خائفة ..

صاحب القصر : خائفة ؟ الآن ؟ ونحن على وشك أن نهب لك اسما وماضيا .. هيا ، يا لوتستى الزرقاء .. أدخلى .. انها تنتظرك ، انها تناديك .. أدخلى ..

السيدة : (تلتصق به) تعال معى اذن .. تعال .. لا تتركنى وحدى .

صاحب القصر : أدخلى أولا .. وسألحق بك فورا ..

(يدفعها فى الغرفة . تخرج المرأة . ويخطو صاحب القصر وحده خطوات نحو الحائط المقابلة حيث يوجد السوط المغولى معلقا. يتناول السوط ويداعبه فى هدوء ثم يتجه ببطء نحو الغرفة) .

(تتغير الموسيقى المنبعثة من جهاز الراديو، ويسمع الآن لحن روسى وحشى متسق التوقيع ، ويخرج صاحب القصر) .

(وفى تلك اللحظة يبدو شبح البروفسور ماراكس خلف الباب الزجاجى فى ضوء القمر . يدخل متسللا خلال باب الشرفة. وتسمع على حين غرة ضربات سوط يهوى على جسم ، تعقبها صيحات ألم) .

البروفسور : (يستدير بسرعة) ستاريتز ! .. ستاريتز ! ..

(يظهر صاحب القصر على عتبة الغرفة ، والسوط فى يده) .

صاحب القصر : لقد منعتك من العودة الى هنا .

البروفسور : ماذا تفعل ؟

صاحب القصر : أخرج !

البروفسور : (متراجعا نحو المكتب) كنت أعلم يقينا أن المسكينة قد سجنها رجل مخبول ولكن سوف

أنقذها على الرغم منك .. وسوف أعمل على القبض عليك .

(يرفع سماعة التليفون) .

صاحب القصر : أترك هذا الجهاز !

البروفسور : الرجال عـــلى شاكلتك يلقى بهم فى غياهب السجون .. (ينادى فى التليفون) مدموازيل !... اعطنى مأمور شرطة سان جيرمان .. بسرعة ... الأمر عاجل ..

صاحب القصر : للمرة الأخيرة .. أعد السماعة الى مكانها ! ..

البروفسور : سوف أضع حدا لأعمالك الجنونية الخطرة ...

(يتناول صاحب القصر بسرعة مسدسا من درج فى صوان بالقرب من البـــاب ، ويطلق منه على ماراكس الذى يسقط وقد أصيب برصاصة قاتلة . يحاول أن يمسك بالسماعة ، وينادى بصـوت ضعيف) : البوليس .. بسرعة .. البوليس .

(يندفع صاحب القصر وينتزع منـــه السماعة يهوى ماراكس عـلى الأرض ، وقد جذب صوت الطلقة المرأة التى تبدو مذهولة ، تهذى وتخرف ، ثوبها مقطوع ، وتظهر خطوط حمراء على كتفيها . تنظر فى غير ادراك الى ماراكس والى ستارتيز ثم تتقهقر مرتعبـة حين ترى أن ماراكس قد مات) .

السيدة : (فى صوت مختنق) ماذا فعلت هنا ؟

صاحب القصر : لقد أراد أن ينتزعك منى .

السيدة : هل قتلته ؟

صاحب القصر : الناس يقتلون اللصوص الذين يقتحمون منازلهم ليلا هيا ، تعالى .. تعالى ..

السيدة : كلا .. كلا .. أنت قاتل .. دعنى أرحل ! (تحاول الخروج ، فيسد عليها الطريق ، تحاول ثانية الهرب) . دعنى أمر ، يا لك من وحش ! ..

صاحب القصر : لقد أقسمت لى يمين الطاعة . ابقى هنا (يضمها الى صدره) .

السيدة : كلا .. كلا .. (تحاول التخلص) .

صاحب القصر : (وقد استفزته القسوة الجنسية) لقد قتلت بسببك .. تعالى ! .. تعالى ! ..

السيدة : (تقاوم عنـاقه) كلا .. كلا .. النجـدة ! .. النجدة ! ..

(يضع صاحب القصر يده على فمهـا ، ويكتم صرخاتها ويجرها بالقوة الى داخل الغرفة) .

الفصل الرابع

نفس ديكور المشهد الأول . نادى الموتى وقد مضى ثلاثة عشر عامـــا . الموتى مجتمعون ليحضروا محاكمة البروفسور ماراكس . المحكمة مشكلة من الجنرال الذى يجلس على مكعب حجرى أمام باب المقبرة العمومية . ويجلس الآخرون مثله فى دائرة أمام أبواب الأروقة .

وحين ترتفع الستار ، تدق الساعة اثنتى عشرة دقة ، فى منتصف الليل ، والمسرح غارق فى الظـــلام . لحن مناسب . وتضىء الأنوار الديكور تدريجيا . الباب رقم ١ مغلق بالسلاسل .

الجنرال : (ناهضا) لقد اجتمعنا لمحاكمة رجل نقض قوانين الحياة ، وكانت مسألته من الخطـــورة بحيث كادت تقلب مصائر الجنس البشرى رأسا على عقب .

الجندى : انه يدعى ماراكس .. بروفسور ماراكس . مات منذ ثلاثة عشر عاما . وقد انتظرنا ، حتى تقدمه للمحاكمة ، أن يموت آخر الموتى الذين كان قد بعثهم ، بجنونه ، أحياء .

الجنرال : ومن كان آخر الموتى ؟

الجندى : المسيو مارك ليون .. (للحاجب) : هل أخطرته ؟

الحاجب : نعم .. كان راقدا فى تابوته ، فهززته ، فاستيقظ وطلب منى دفتر الشكاوى .

الجندى : وأين المتهم ؟

الحاجب : ما زال فى القبو .

الچنرال : وحده ؟

الحاجب : نعم وحده ، منذ ثلاثة عشر عاما ، يا سيدى الچنرال .. انه مشدود الى قبره .

الجندى : أدخل حينما أعطيك اشارة بذلك .. اننى مكلف بالمرافعة ضد المتهم .

الچنرال : سوف نقيم محاميا للدفاع عنه .. (للحاجب) .. ألا يأتى ذلك السيد مارك ليون ؟ اذهب وأت به .

(يذهب الحاجب الى الباب رقم ٣ الذى ينفتح قليلا ، ويظهر رأس المجنون) .

المجنون : كم الساعة ؟

الحاجب : خمس دقائق بعد منتصف الليل .

المجنون : (ينظر الى ساعة يده ويضبط الوقت) تشير

ساعتى الى الحـادية عشرة وخمس دقائق .. بالتوقيت الصيفى .

الجنرال : (بجفاء) . أأنت المسيو مارك ؟

المجنون : نعم . لماذا تضايقونى ؟ ألا يستطيع الانسان أن يترك جسمه يتحلل فى هدوء ؟

الجنرال : لقد تأخرت يا سـيدى .. اننا فى حاجة الى شهادتك .

المجنون : لم أر شيئا . لقد كنت فى نعشى .

الجنرال : اجلس مع الشهود .

المجنون : (ذاهبا اليه) لقد دفنت يوم الثلاثاء .

الجنرال : نعرف ذلك ، اجلس .

المجنون : (مخاطبا الشهود) كانت جنازتى من الدرجة الثانية .. وحضر فى الكنيسة جمهور كبير .. وكانت أرمـلتى فى منتهى السرور .. وكان عشيقها موجودا أيضا ، مرتديا حلة سوداء .. وجهه وسيم ، صالح للتصوير ..

الجنرال : كفى هذا .. لا تتكلم حتى تسأل .

المجنون : فى أية ساعة ؟

حينما كنت أستاذا لعلم الأحياء ، أوصلك علمك الى اكتشاف طريقة لاحياء الموتى ..

البروفسور : بعض الموتى .. كنت الشخص الوحيد الذى يعرف نظرية احياء الموتى وتطبيقها العملى . وبموتى حرمت الانسانية من اكتشاف كان من شأنه أن يغير مستقبلها .

الجندى : سوف نفحص هذا .. ولنحدد الوقائع .. لقد حضرت فى ليلة السابع من أغسطس عام ١٩٤٧ توقع الاضطراب بين موتى هذه الجبانة . قل أولا كيف اخترت ضحاياك ؟

البروفسور : كيفما اتفق ، من بين الموتى الذين دفنوا منذ يومين أو ثلاثة .

الجندى : ألم يسبق لك أن قمت بتجارب على الحيوانات ؟

البروفسور : بلى .

الجندى : ألم تكفك هذه التجارب ؟

البروفسور : رجل العلم لا يعرف المحاط التى يتوقف عندها فى طريق أبحاثه .. ولا يحق لمخلوق أن يصيح فيه قائلا « قف عندك ، لا تذهب الى أبعد من ذلك ! » .

الجندى : سوف نرى . ماذا كنت تريد أن تفعله بالآدميين الستة الذين بعثتهم أحياء ؟

البروفسور : كنت أريد أن أجعل منهم اناسا سعداء ، يستفيدون من تجاربهم التى مرت بهم فى حياتهم الأولى ، ويستطيعون أن يتجنبوا أخطاءهم السابقة .

الجندى : ماذا كنت تفعل لو لم تقتل فى السابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ؟

البروفسور : (متحمسا) كنت سأعلن على الدنيا ، بعد مضى أسبوع واحد ، أننى انتصرت على الموت ؛ وكنت سأصبح أقوى رجل فى العالم .

الجندى : عن أية قوة تتحدث ؟

البروفسور : عن القوة الخالقة ، تلك التى كانت سترفعنى فوق مصاف الملوك والأباطرة ، وتمكننى من أن أسمو بالعالم المتمدن .

الجندى : (مشيرا الى الموتى الذين بعثوا من قبل) ها هم ضحايا قوتك الخالقة . سنسألهم الواحد بعد الآخر .. مسيو فريدريك كادران . هات

وثلاثين يوما . كنت عطشى الى الحـــرية .. ولما كنت قد حرمت الحب فى حياتى الأولى ، فاننى كنت فى عجلة لادراك ما فاتنى من الحظ فيـــه .

الجندى : أكنت خليلة الرجل الذى قتل المتهم ؟

السيدة : نعم .

الجندى : هل كان عشيقك الأول ؟

السيدة : كلا .. كان العشيق الأول هو هـــذا السيد (تشير الى المليونير) .

الچنرال : وقدمت اليه هدية ؟

السيدة : (تحنى رأسها) خاتما من خواتمى .. أى نعم !

الجندى : (يلتفت الى الچنرال) أذكرك أن مسيو كاردان قد أشار الى ذلك فى شـــهادته ، اســـتمرى يا سيدتى .

الحاجب : قررت اذن أن أترك العيادة .. وكنت أقضى الليالى فى قصر مسيو ستارينز الذى كان بجوار العيادة .

الجندى : أهو قاتل البروفسور ماراكس ؟

الحاجب : نعم . لقد قتل ذلك الذى خطفنى .

الجندى : وعليه ، فلست مخطئا اذا قلت ان صاحب القصر كان عشيقك الثانى ؟

السيدة : كلا ، بل الرابع .

الجندى : (يعد على أصابعه) فلنر : مسيو كاردان ، واحد ! .. مسيو ستاريتز ، اثنان ..

السيدة : معذرة ! بين هذين الاثنين ، عرفت شابا أشقر كان يتنزه فى الغابة ، وغازلنى .

الجندى : (باسطا اصبعه الثالث) شاب أشقر .. ثلاثة !

السيدة : وقبل حدوث الفاجعة ، عرفت رجلا أحمر الشعر ، أعجبنى وصحبنى لتناول طعام العشاء فى « الأستورچون » وفى « پواسى » وجذبنى الى الجزيرة خلف مركب قديم ..

الجندى : (باسطا اصبعه الرابع) بهذا أصبحوا أربعة .. استمرى يا سيدتى .

السيدة : كانت عودتى الى الحياة قد أثارت الشعور العام .. واستعدت فى آخر الأمر ذاكرتى ، وطلبنى زوجى ، فقد كنت متزوجة رجلا لا يحتمل .. وبذل مساع كثيرة ليتزوجنى من جديد .

الجنرال : عجبا ! يا لها من مجموعة ، تضم كل ما فى كتاب « دليل المجتمع » من شخصيات !

الجندى : وأية نتيجة خرجت بها يا سيدتى من كل ذلك ؟

السيدة : ان البروفسور ماراكس مذنب كبير .. كنت فيما مضى ، وحيدة ، زوجة لرجل مستبد ، فاقدة الحرية ، هذا صحيح ! .. كان جسمى حبيسا ، ولكن عقلى كان طليقا ، ينسج فى الخيال أثوابا من الحب والهيام .. لقد قتلت ، أيها البروفسور ماراكس ، ذلك الشبح الرائع الذى يتراقص حول فراش كل امرأة وحيدة ، وهذا ما لا أغفره لك أبدا .. (للجندى) اننى أطلب ادانة البروفسور ماراكس . (تجلس) .

الجندى : المحكمة تشكرك يا سيدتى على شهادتك .

البروفسور : أرغب أن أرد على ..

الجندى : فيما بعد أيها البروفسور .. لابد لنا من سماع كل الضحايا أولا .. وقد بقى أمامنا مسيو أندريه ليفورج ، ومدموازيل ماريكا زاتقانى ، ومسيو مارك ليون ، ومدموازيل ليا جروسيل .. وسيبدأ بأداء الشهادة مسيو ليفورج ومدموازيل

ماريكا اللذان بعثا الى الحياة فى وقت واحد

(يميل نحو الچنرال) أتريد أن تسمع الاثنين ؟

الچنرال : يبدو لى أن مسيو ليفورج يستطيع أن يتكلم باسم الاثنين .

الجندى : نعم .. (ينادى) مسيو ليفورچ !

الشاب : (ينهض) هأنذا .

الجندى : هل تسمح بأداء شهادتك ؟

الشاب : (متنهدا) وأسفاه .. سوف ألخص مسألتنا ، وهى الى ذلك غاية فى البساطة .

الجندى : انتظر .. أصحيح أنكما ، أنتما الاثنين ، قد انتحرتما بتناول « الڤيرونال » يوم ١٧ يونية سنة ١٩٤٧ ؛ حتى لا تعيشا بعد حب فاشل ؟

الشاب : (متهكما) نعم ، تماما .. بالڤيرونال .. ها ! ها ! ها !

الفتاة : (جالسة خلفه) آه ، لو كنت أعلم أنى سأتزوج رجلا أجوف مثل هذا الرجل !

الشاب : (مستديرا) اسكتى ! ليس هذا دورك حتى تتكلمى .. أيتها البلهاء الصغيرة !

الفتاة : سأتكلم حين أشاء .. أيها الأبلة الكبير ! ..

الچنرال : احترما المحكمة من فضلكما ..

الشاب : وعلى ذلك فقد اتحرنا فى سبيل الحب . ثم أحيانا البروفسور ماراكس وجمعنا فى غرفة واحدة . وعشنا كما يعيش زوجان صغيران .

الچنرال : ألم يكن الزواج هو الشىء الذى كنتما تصبوان اليه ؟

الشاب : ها ! ها ! يا سيدى الچنرال ، انك لا تستطيع أن تتصور الحياة الزوجية مع هذه الجرادة .

الفتـــاة : خير لك أن تسكت ! .. (تنهض) يا سيدى الچنرال ، المسألة فى غاية البساطة ..

الجندى : معذرة يا سيدتى .. لقد اتفقنا على أن يتكلم زوجك نيابة عنكما الاثنين .

الفتـــاة : ولم ذلك ؟ .. اذن لا صفة لى أمام هذه المحكمة .. أنا لا شىء .

الشاب : أتسمعونها ! .. ثلاثة عشر عاما انقضت على هذه الحال .. أنا .. وأنا .. طول النهار .. فضلا عن الليل ..

الجندى : هيا ، تعالوا نفرض شيئا من النظام على هذه الشهادة .. لقد تزوجتما مدة ثلاث عشرة سنة ؟

الشاب : نعم .. ثلاث عشرة سنة .. مع الأسف ! فقد تزوجتها على أية حال . ثلاث عشرة سنة من المشاجرات والمخاصمات .

الفتاة : هو الذى كان يشاجرنى من غير سبب .

الجندى : استمر ، يا سيدى ..

الشاب : كانت حياتى الزوجية نكبة من النكبات .

الفتاة : لمن ؟

الشاب : للمفاتل الباسل .

الفتاة : (تنهض) هاكم أيها السادة ! هاكم الألمعية ؛ والذكاء ، وتوقد الذهن ، الكائنة فى الرجل الذى ابتلعت من أجله ثلاثين حبة من الفيرونال . آه ! كان يجدر بى أن أتناول حبة من الأسبرين .

الشاب : ومع ذلك ، فان أبى لم يدرك أخلاقك الفظة هذه ..

الفتاة : أوه ! أبوك ! .. فلنتحدث عنه .. ذلك النصاب ، تاجر السوق السوداء !

الشاب : (للجندى) اليكم القلب الصغير الطيب الذى أدرت من أجله لحن « موت ايزولد » فى ليلة انتحارنا ! اننى أفضل ألا أرد بشىء ! ..

سادتى ، سأتم شهادتى .. كان من سوء حظنا أن حققنا ذلك الحلم الذى كان يداعبنا . وكل ما أستطيع أن أقوله لكم ، هو أنه اذا كان عشاق « ڤيرون » قد ظلوا أحياء ، فان شكسپير كان أحرى به أن يجعل عنوان قصته ترويض المرأة المشاكسة» بدلا من« روميو وچولييت » ! وعليه ؛ فانى أتهم البروفسور ماراكس بأنه قد أطاح بأمانينا من اللحظة التى اكتحلت فيها عيوننا بنور الحياة .. وقد أدركت الآن أن الرغبة تشكل وحدها سعادة الانسان ونعيمه ، وآن كل رغبة تحققت ما هى الا زهرة تذوى بين يديه .. اننى أطلب ادانة البروفسور ماراكس (يجلس) .

الفتـــاة : وأنا أيضا !

الجندى : نشكركما أنتما الاثنين ، ونرى أنكما قد اتفقتما أخيرا على هذه النقطة .. وسنستمع الى المسيو مارك ليـون .. أين هو ؟ مسيو مارك ليون ، تفضل ..

الجنرال : أدل بشهادتك فى قضية البروفسور ماراكس .

المجنون : انه رجل لطيف جذاب .

الجميع : أوه !

الجندى : كم من الزمن عشته فى حياتك الثانية ؟

المجنون : انتظر ! .. ثلاثة عشر عاما .. منها اثنا عشر عاما مع أرملتى (ضاحكا) لقد كانت تتميز غيظا .. ويا له من سرور كاذب ذلك الذى كانت تتظاهر به !

الجندى : ولماذا ؟

المجنون : لأنها لم تكن تحب النفير . وكنت قد اشتريت نفيرا صغيرا .. وهـذا أفضل من مغـازلة الفتيات .. وكنت أعزف على نفيرى ألحـانا معروفة .. كارمن .. فوست .. عايدة ! ..

الجندى : هل كنت شقيا أيضا فى حياتك الثانية ؟

المجنون : بل على العكس من ذلك ، كنت سعيدا ، منتهى السعادة .

الجندى : ولم ؟

المليونير : لقد ضايقت زوجتى اثنى عشر عاما .. ومن أجل هذا فقط أشكر البروفسور ماراكس أجـزل الشكر .

الجندى : (للمجنون) وأخيرا ، فهل أنت تطلب ادانة المتهم ؟

المجنون : كلا مطلقا ! لقد علمت بمزيد السرور ، قبل موتى ، أن الأحياء سوف يقيمون تمثالا لتخليد ذلك البروفسور ماراكس (يستدير نحو ماراكس) .. سيدى الأستاذ .. يؤسفنى ألا أكون حاضرا الاحتفال بازاحة الستار عن التمثال ، واسمح لى أن أصافح يدك التى أصبحت بلون النحاس الأصفر ، والتى سوف تستعمل فى الآخرة مجثما تحط عليه الطيور .

الجندى : هذا يكفى يا مسيو مارك ليون ، تستطيع أن تنسحب . وسنستمع الى مدموازيل « ليا جروسيه » . أين هى ؟

الفانية : ها أنذى .

الجندى : انهضى يا مدموازيل .. هل أنت مدموازيل جروسيه ، ألفونسين لوسى ، التى بعثت حية فى عيادة البروفسور ماراكس ؟

الفانية : (واقفة) نعم .

الجندى : ما هى مهنتك ؟

الغانيـــة : مومس ..

الجندى : هل كنت تعيشين فى حياتك الأولى على الأرض ، معتمدة اعتمادا كليا على الدعارة ؟

الغانيـــة : نعم ، اعتمادا كليا .

الجندى : (ينحنى نحو الجنرال ويهمس له) هـــل أنت متفق معى ؟ ..

(للعـــــاهرة) قررنا أن نعفيك من الاعتراف بخطاياك فى حياتك الثانية على الأرض .. فهل تطلبين أنت أيضا بالطبع ادانة البروفســـــور ماراكس ؟

الغانيـــة : (بصوت عال جدا) كلا !

(تلفت صيحتها كل الأنظار اليها) .

الجندى : (دهشا) ألا تطلبين أن يدان البروفســـــور ماراكس ؟

الغانيـــة : كلا ! .. بل أطلب له البراءة !

الجميع : أوه !

الجندى : أرجو والحالة هذه ، أن تفسرى أقوالك .

الغانيـــة : بكل سرور .. لقد أتاحت لى تجربة البروفسور ماراكس فرصة العيش ثمان سنوات أخرى .

وقد أنستنى تلك السنوات بشاعة حيـــاتى السابقة .

الجندى : لماذا ؟

الغانيـة : ذلك لأنى بدلا من أعيش عالة على الرجال ، فقد عشت من أجلهم .

الجندى : أوضحى .

الغانيـة : كنت فيما مضى أبيعهم جسدى .. أما فى المرة الأخيرة فانى وهبتهم روحى .. هذا هو كل شىء .. أنا لا أجيد الكلام ، ولا تركيب الجمـــل أو صياغة العبارات .. ولكن القلب حين يكون راضيا فرحا ، تخرج الكلمات من تلقائها .

الجندى : ومع ذلك فان حياتك الأولى ..

الغانيـة : كانت بشـــعة بكل تأكيد .. فالمومس كائن لا قيمة له .. مائة فرنك نظير عمل آلى سخيف ؛ وتعطى للرجل ما يطلبه من متعة . فاذا نقـدها خمسمائة فرنك فانها تعبده . وعنـدما رجعت الى الحياة الدنيا ، على وجه الأرض ؛ عملت ممرضة ، بفضل البروفسور ماراكس .. ووجدت سعادة فى العناية بأولئك الرجال المتوحشـين

أنفسهم .. وواصلت عنايتى بهم بعد وفاة البروفسور .. وكنت هانئة اذ لم أعد أشعر بنظراتهم الدنسة النهمة تكاد تلتهم جسدى .. كانوا مرضى .. كائنات سقيمة واهنة ؛ فى حاجة الى طيبة قلبى ، ولا رغبة لها فى بشرتى الجميلة.. (تقترب من هيئة المحكمة) أتفهمونني أيها السادة ؟ كانوا رجالا ناقصين ، حطاما بشرية ، يمدون الىّ أيديهم المحمومة .. لا لمداعبتى ، كما كان غيرهم يفعل فيما مضى ! آه كلا .. وانما ليتشبثوا بى كالأطفال الوجلين.. خشية الموت .. (تجفف دمعة) . ولقد أحبونى .. هؤلاء الرجال .. آه ! نعم .. أحبونى حبا جديا .. وقد أنستنى رقة نظراتهم ، وعذوبة لهجتهم ، صوت الآخرين ، رجال العهد الأول .. واننى لأشكر البروفسور ماراكس ، لذكرى تلك الساعات الهنيئة التى شعرت خلالها بسعادة لم أشعر بها فى حياتى الأولى ، وأطلب براءة ساحته . (تعود الى مكانها) .

الجنرال : أخذت المحكمة علما بتصريحاتك يا آنسة .

ولقد سمعت المحكمة حتى الآن أقوال ضحايا البروفسور ماراكس الست .. (للجنـدى) والآن حان دورك للمرافعة .

الجندى : (ناهضا) سوف تكون مرافعتى موجزة . ذلك لأن جرم المتهم واضح . فقد جاء البروفسور ماراكس باكتشافه الشيطانى ينشر الذعر بين هؤلاء الموتى السعداء .. وهو لم يخرق ناموس الكون فحسب ، وانما ضاعف أيضا مجمـوع ما كان لدى هؤلاء الموتى من ضروب خيبـة الأمل والنـــدم . وبناء على ذلك فانى أتهم البروفسور ماراكس بأنه قد عمـل على تغيير مصائرهم .. فأنت يا مسيو مارك ليون ، قد قضيت بنفس اللوثة التى قضت عليك فى المرة الأولى وأنت يا مدام تيسيلون ، فارقت الحياة بنفس الميتة السابقة ، بعد أن سعيت جاهـدة لاصطياد ذلك الشبح ، شـــبح السعادة .. (للعـاهرة) .. وأنت أيضا يا آنسة ، وأنتما أيضا أيها الزوجان التعيسان ، يا من قتلتما معا فى حادث سيارة .. ان مصيركما المحتوم ، المقدر

فى سجل الزمان السرمدى ؛ لم يكن فى المستطاع أن يبدله هوس واحد من العلماء .. وأى عالم ؟.. عالم مصاب بجنون العظمة ، أتاه يوم ظن فيه الذرات كلابا ذكية ، وايقاع الحياة لحنا متصل النغمات .. سادتى ، كانت جرأة ذلك الرجل شيئا لا يغتفر ، وانى أطلب له الموت مرة ثانية !

المجنون : (يظهر البنكير على ساعته) تكلم ثلاث دقائق وخمس وأربعين ثانية !

الجميع : أسكت !

الچنرال : أيها المتهم ، لك أن تتكلم ..

البروفسور : (ناهضا) انى لم ألتمس معونة أى محام ، لأنى أرتضى منذ الآن العقوبة التى تستحقها أعمالى .. وتلك العقوبة ، سوف أتحملها .. ولكنى قبل ذلك سوف أرد على الشهود الأربعة الذين هاجمونى .. ذلك لأنكم جميعا ، فيما عدا هذا السيد وتلك الآنسة ، قد اجتمع رأيكم على لومى ومؤاخذتى على اكتشافى .. فليكن .. لأكونن مذنبا ! وانما لأى سبب ؟ .. ألأنى أخطأت فأقدمت على العمل فى وقت مبكر جدا

سابق للأوان ؟ .. وأقول : وقت مبكر جدا ، لأن انعدام التوافق الزمنى بين العلم وأخلاق الشعوب المتحضرة يشكل أكبر فاجعة حدثت فى تاريخ الجنس البشرى . فرجل العلم يتقدم فى أبحاثه بسرعة ثلاثة آلاف كيلومترا فى الساعة .. أما رجل الأخلاق فانه يسير فى أعقابه متثاقلا ، يجر قدميه ، بكل جهد ومشقة . رجل العلم يتحكم فى الالكترونات ، أما الانسان العادى فانه لا يعرف حتى كيف يتحكم فى غرائزه الخبيثة .. وفى هذا تكمن المأساة .. وهذا هو السبب الذى دفع الشهود الأربعة الذين يتهموننى الى أن يصوروا للمحكمة ما شعروا به من مرارة خيبة الأمل.. (يقترب من البنكير) . وأنت يا مسيو كاردان ، يا من سبحت فى بحر من السعادة حين وجدت نفسك محبوبا لشخصك ، علام كل هذه الثورة ؟ أيستحق الشرهون آى شفقة أو رثاء اذا قاءوا ما كانوا يلتهمون ، وهم يئنون ؟ (يقترب من سيدة المجتمع ومن الزوجين الشابين) . وأنت يا مدام

تيسيلون ، وأنتما أيها الزوجين الصـــغيرين الشـــبيهين بأبطال القصص والروايات ، يا من كنتم تحلمون بالحب والهيـــام ، ماذا صنعتم بالسنين التى عشتموها بفضلى ؟ .. لقد أخرجتم صـــــورة هزلية من ذلك الحلم الذى كان يراودكم ! .. وأنت يا ســـيدتى ؛ لقد انطلقت ككلبة تخلصت من أسرها وفرت من جحرها ؛ واندفعت تخترقين الغـــابات وتغشين بيوت العزاب لتشبعين عواطفك الملتهبة .. يا له من بعث رائع .. ويا لها من حياة جديدة كلها عبرة وقدوة ، وما أشبهها بتلك الرحلة ، رحـــــلة « مدام بوڤارى » فى بلاد الغيـــلان ! آه ! أى نعم ، لكم أستحق منكم اللوم والعتاب ! ..

(يقترب من العاهرة) . أنتم يا من اتهمتونى فى شدة وحماس ، أنظروا الى تلك المرأة .. أنظروا الى تلك التى وقفت فى صفى .. وطالبت ببراءتى .. اسألوها كيف وجدت فى قلبها من القوة والايمان ما جعلها تدافع عنى ! .. ذلك لأنها كانت أفضل فى حياتها الثـــانية منها فى

الأولى .. كانت أفضل ! .. أتسمعون جيدا ؟ أنتم جميعا لم تسعوا الا وراء ارضاء أنانيتكم .. أما هى ، فانها على العكس من ذلك ، كانت سعيدة لأن قلبها قد ارتفع بها عن رجسها وخطيئتها .. انها هى ولا ريب التى فهمت المعنى الحقيقى الكامن وراء ذلك البعث .. سادتى : هذا كل ما كان يجدر بى أن أقوله . وانى لا ألتمس منكم أى تساهل أو رحمة ، وأرتضى حكمكم .. وستظل روحى تهيم قرون طويلة ، لا حساب لها ، حتى يأتى اليوم الذى يمتنع فيه البشر عما هم عليه الآن ، فلا يكونون أنانيين وحيوانات كاسرة ..

(سكون . الجندى يستشير الجنرال)

الجنرال : (بصوت عميق متئد) حيث أن المتهم لم يرد على اتهامات ضحاياه الا بسفسطة ومغالطات واستطرادات لا قيمة لها ، وحيث أنه أقدم ، دون باعث شرعى ، على الاعتداء على راحة الموتى الأبدية ، فقد حكمت عليه المحكمة بالموت مرة ثانية ، بيد ضحاياه أنفسهم .. هيا ، قيدوا المحكوم عليه ..

(ترتفع أصوات ، وجلبة وضوضـــاء ، ويربط البنكير والشـــاب البروفســور ماراكس الى باب الحفرة العمومية) .

البروفسور : يا للمساكين ، انهم لا يعلمون ! ..

سيدة المجتمع : لابد من فقأ عينيه .

الفتـــاة : (ذاهبة الى ماراكس) أنت رجل حقير ..

سيدة المجتمع : (تمزق وجهه بأظفارها) دعونى أفقأ عينيه .

العاهرة : (تحاول أن تتدخل) لا .. لا ! .. اتركوه ! .. لا تؤذوه !

سيدة المجتمع : كيف تترك هذا الرجل .. أبدا ! .. (تنحى العاهرة) ..

الشاب : هذا التعذيب خفيف جدا بالنسبة اليك .

البنكير : ينبغى أن نحرق عظامك .. أيها الحاجب ! .. أيها الحاجب ، الينا باللهيب ..

(يضع الحاجب النار عند قدمى ماراكس ، وترتفع السنة النار . وتلتف به ، فيتهاوى على الباب الحديدى وهو يتأوه) .

البروفسور : أيتها البشرية البائسة ..
لك الرحمة والرثاء !

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٠ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلـــوبى	سمرست موم
٦	الغـــربان	هنرى بك
٧	اليـــكترا	جان جيرودو
٨	توركاريـــه	ر ٠ لوساج
٩	الـــدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج ٠ م ٠ بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابـــلر	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جـــونو والطاووس	شيين أوكاسي
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـــا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأســاة الدكتور فوستس ..	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة المـــوتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كلُّ امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	چيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية ...	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحـديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عنـدما نبعث نحن الموتى ...	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار ...	يوجين أونيل
٤٠	حـورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خـــدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزانـــد	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزيه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبـة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفســك	يول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتبوس أفـير
٥١	فترة التـــوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بـــيرجينت	چون جلزوردى
٥٣	الابن الأكبـــر	چون جلزوردى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتـــاة الأحزان	چون ميلنجتون سينج
٥٦	المسافر بلا متـــاع	چان انوى
٥٧	الحـــالة	المر رايس
٥٨	كلهـــم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	اوندين	جان جيرودو
٦٠	ميناڤون بارنهلم	جونهولد اقرايم لسينج
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوپتمان

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت